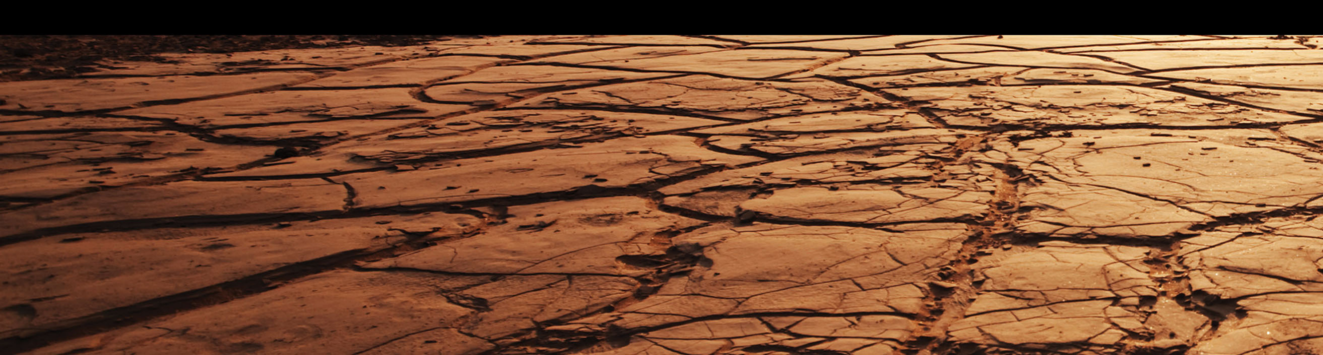


إعداد

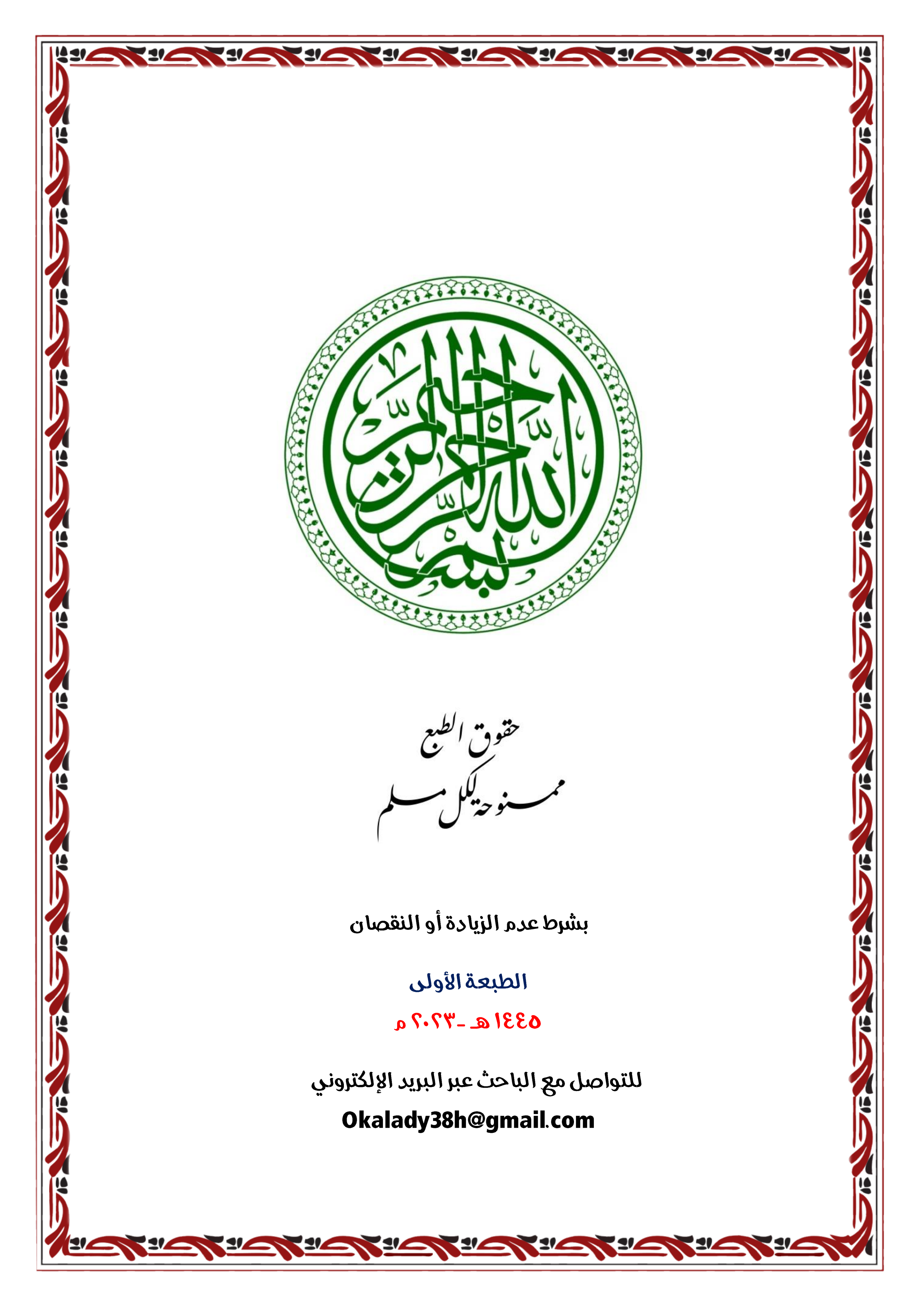
أسامة بن محمد بن قاسم الكلدي اليماني





إعداد

أسامة بن محمد بن قاسم الكلدي اليماني



الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

للتواصل مع الباحث عبر البريد الإلكتروني

Okalady38h@gmail.com



إضاءات بين يدي الوقفات

قال الله الخالق الحكيم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ...﴾ **(إبراهيم: ١٠)**

۞ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وكان من أسباب دخول هؤلاء [التتار] ظهور الإلحاد، والنفاق، والبدع » **[مجموع الفتاوى (١٣/ ١٨٠)]**

۞ وقال المؤرخ الأمريكي الشهير وِلْ ديورانت: « إن أعظم قضايا عصرنا ليست الشيوعية مقابل الفردية، ولا أوروبا مقابل أمريكا، ولا حتىٰ الشرق مقابل الغرب، ولكن أعظم قضية تتمحور حول سؤال: هل يستطيع الإنسان أن يحيا دون الله؟ » **[الوجه الحقيقي للإلحاد (ص٢١)]**

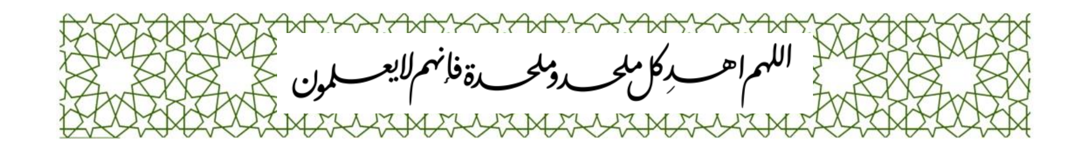
۞ وقال هنري برجسون: « لقد وُجِدَت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قَطُّ جماعة بغير ديانة »

[الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (ص٨٤)]

۞ الملاحدة واقعون في الجهل المركب، لأنهم يجهلون ما في الواقع، ويجهلون جهلهم هذا.

۞ « إن الواجب الـمحـتم علىٰ كل مخلص لدينه وأمته أن يبادر إلىٰ الإسهام في توعية الأجيال الناشئة بحقائق الإيـمان، وتربيتها علىٰ تعظيم شعائر الإسلام، وعلـىٰ الهدىٰ والخير، ومحبـة الله ورسـوله، وتوثيـق صـلتها بـذلك في نفـوس أبنـاء الأمـة وبناتــها؛ لتحقيـق قيمهـا وآثارهـا في نفوسـهم وأخلاقهـم، وتحصـينهم بالوسـائل الإيـمانية والفكرية الـملائمة لهـم. والعلمـاء الربـانيون في الـذورة العليـا مـن هـذه الـمسؤولية، والوالدان والأسرة الـمسلمة والــمربُّون والــمعلِّمون وجميـع أوليـاء الأمور كلٌّ مسؤول في موقع اختصاصه »

[الـمجمع الفقهي الإسلامي - الـدورة الحاديـة والعشـرون (٢٤-١٤٣٤/١/٢٨هـ الـموافق ٨-٢٠١٢/١٢/١٢م)]





الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فلا يخفىٰ علىٰ متابع ما يشهده عالـمنا العربـي والإسلامي مؤخراً من موجة إلحاد، ظهرت علىٰ الساحة في خطاب استفزازي يتميز بالاستعلاء والتحدي، وينتهج التأثير من طرف واحد بالـمشهد والصورة والكلمة والعاطفة، علىٰ حين فترةٍ من ضعف الأمة وازدياد تفرقها، وزعزعة أمنها واضطراب حالها، فاستشرفت مَنِ استشرف لها، وأصيب جمع من شبابنا - ذكوراً وإناثًا - بهزات منها عنيفة زلزلت ما عندهم من ثوابت، فسقط مَنْ سقط، واضطرب مَنِ اضطرب، وتشكَّكَ مَنْ تشكَّكَ، وبرز علىٰ إثر ذلك ظاهرة إلحادية غالية، تَتَنَكَّرُ للأديان، وتتجاوز الفطرة، وذهبت تعادي الأخلاق والفضائل بذريعة (**الـمعرفة بأي ثمن !**)، وجعلت تشغل الـمسلمين بإغراقهم في صراعات الفكر والهوية عن إصلاح أحوالهم، واستشراف مستقبلهم .

وغدا أصحابها - ضمن أجندات محددة - يصطنعون دينًا جديدًا يهدم كل خير وصلاح باسم العقل والعلم ! والـمعرفة والـمنطق ! محاولين نفخ العدمية في الـمادية لجعلها الحقيقة الـمطلقة، مُنكرين وجود الله، مؤلهين لِـهَوَىٰ الإنسان، فاقدين الغاية من الوجود، ليعيشوا بفلسفةٍ متمردةٍ تُـمَجِّدُ الغرابة والشذوذ في كل

شيء، وتَنبُذُ كل ما تعارف واتفق عليه البشر من الـمحاسن والفضائل والآداب، وتذهب غارقة في الانحلال والضياع = (**ملكوت الإنسان !!**).

فليت الـملحدين نَفَوْا وسكتوا؛ ولكن اعتقدوا واعتنقوا ثم برزوا ونقدوا، فأَتَوْا بدين وضعيٍّ جديد - ولـم يُصِبْ من نفىٰ دِيْنِيَّتَهُ - يُبدِي رأيه في الله والكون والحياة والعلم، وأرادوا من الناس أن يدخلوا فيه طائعين أو كارهين ! إنه دين الإلحاد الجديد: (**لا إله، والحياة مادة !!!**).

وفي الورقات التالية مجموع مختصر يكشف هذه الظاهرة الشاذة، ويبين حقيقة حروفها الـمتشائمة ؛ سيقف القارئ معها الوقفات الثمان التالية:

١- دواعي الحديث عن هذا الـموضوع.

٢- ما هو الإلحاد ؟

٣- أسباب الوقوع في الإلحاد.

٤- مَـنْ يقف وراء الإلحاد ؟

٥- الإلحاد مخاطرُ سُوءٍ وآثارُ فسادٍ.

٦- كيف نعالج الإلحاد ونواجهه ؟

٧- شبهتان والـجواب عليهما.

٨- نـداء إلىٰ كل ملحد ومتأثِّـرٍ بالإلحاد.

فإلىٰ بيانـها، وبالله التوفيق والسداد، ومنه العون والإمداد.



الوقفة (١)
دواعي الحديث عن الإلحاد وأهله

إن تناول موضوع الإلحاد ، والكلام على الملحدين ، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع ، وما يتبع ذلك ؛ دعت إليه دواعٍ ، وانتظمته أسباب ، فمن ذلك :

١- أهم سبب للكلام في هذا الموضوع هو تأثر كثير من الشباب والفتيات في عالمنا العربي والإسلامي بظاهرة الإلحاد التي ازدادت في الآونة الأخيرة، لا سيما في فترة ما سُمِّيَ بثورات الربيع العربي وما أعقبها من تشكل ما يُسمىٰ بـ **مناخ كسر القواعد (ثوابت الدين والأخلاق).**

٢- الظهور التبشيري للإلحاد في وسائل الإعلام المختلفة، وانتشاره عبر منصات التواصل الاجتماعي في ظل العولمة والثورة الرقمية **(مراكز وتحالفات، وروابط واتحادات، ونواد ومؤسسات، وتجمعات وشبكات، وأفلام وقنوات، وأغان وإذاعات، وكتب وروايات).**

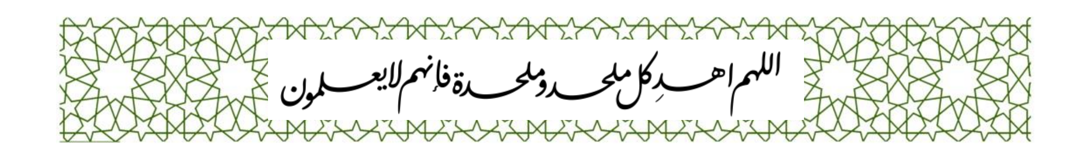
٣- بيان حقيقة الإلحاد، وإظهار مباينته للعلم، ومعاكسته للفطرة، ومخالفته للعقل، ومعاندته للمنطق، وتزويره للحقائق، وتزييفه للأفكار، وأنه أفكار منحوتة من الهوىٰ لا عُلْقَة لها بالعقل، ومرض في القلوب مقلوب ليس إلا.

٤- الوقوف أمام ظاهرة الإلحاد، وكشف مَنْ يقف وراءه، ودفع عادية دعاته عن الإسلام وأهله، واستنقاذ البشرية من ضلاله وتمويهاته، في **(معركة أفكار)** عَمَّ شرها، وطار في شرق الأرض وغربها شررها.

٥- بيان كمال دين الإسلام وشموليته، وأنه لا تعارض بين ما يدعو إليه مع العقل والعلم.

٦- إظهار قدرة الإسلام علىٰ حَــلِّ مشـاكل البشـرية، وتخليصـها مـن حيرتــها وتخبطها في مذاهب الإلحاد ونظرياته الضالة.

٧- الـمساهمة في تثبيت أهـل الإيــمان، والتسـبب في هدايـة مَـنْ تـأثر بشـبهات الملاحدة من الفتيات والفتيان، وتجديد الوعي بفقه السنة والقرآن، وبالله المستعان، وما توفيقي إلا بالله.




الوقفة (٢)
ماهو الإلحاد؟

تستعرض هذه الوقفة كلمة الإلحاد ومعناها في استخداماتها الثلاثة:

اللغوي والشرعي والعصري، وبيان العلاقة بينها.

أولاً: الإلحاد في اللغة[1]**: هو الميل والانحراف عن الشيء**، تقول: لَحَدَ وأَلْحَدَ عن الشيء أي مال وانحرف، ومنه أُخِذَ اللحد في القبر، وقالوا: قبر مُلحَدٌ ومَلْحُودٌ، لأنه أُمِيْلَ عن وسطه إلىٰ جانبه.

ثم استعير معنى الميل هذا إلى غيره، مثل:

١- **حَرفُ الشيء وناحيتُهُ** وذلك لميله عن الوسط.

٢- **الملجأ**: يقال: التحد الرجل إلىٰ كذا إذا التجأ إليه، والملجأ يقال له: الملتحد، لأن اللاجئ يميل إليه.

٣- **الظلم**: ومنه قولهم: ألحد في الحرم، إذا ترك القصد ومال إلىٰ الظلم.

٤- **الإزراء**: يقال: ألحد بفلان، أزرىٰ به وقال عليه باطلاً، مائلاً عن الحق فيه.

ويأتي الإلحاد أيضاً بمعنى:

٥- **الجدال**.

٦- **والمراء**.

٧- **والاعتراض**.

---

(١) انظر فعل (لحد) في كل من [(**العين** ٣/ ١٨٢ ـ ١٨٣) للخليل بن أحمد الفراهيدي، (**تهذيب اللغة** ٤/ ٢٤٣ - ٢٤٤) للأزهري، (**الصحاح** ٢/ ٥٣٢) للجوهري، (**المصباح المنير** ٢/ ٥٥٠) للفيومي، (**القاموس المحيط** ص ٣١٧) للفيروزآبادي، (**تاج العروس من جواهر القاموس** ٩/ ١٣٤ - ١٣٧) للزبيدي، (**أساس البلاغة** ٢/ ١٦١) للزمخشري].

وهذه المعاني كلها موجودة في أهل الإلحاد ويتصفون بها، فإنهم لما ألحدوا بميلهم عن صراط الله المستقيم، وجعلوا الإلحاد ملتحدهم الذي إليه لجؤوا؛ ظلموا وجاروا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وماروا في ذلك واعترضوا حتىٰ أَزْرَوْا بأهل الإيمان، فمن مستقل ومستكثر.

ثانياً: في اصطلاح الشرع: الانحراف عن صراط الله الذي بعث الله به نبيه محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشتىٰ أنواع الانحراف: العقدي، والقولي، والعملي.

ويكون كلياً، وقد يتجزأ، ويكون كفراً، ودون ذلك، فيكون:

١- في الله سبحانه

٢- وفي أسمائه وصفاته.

٣- وفي آياته الكونية والقولية.

٤- وفي شريعته بترك طاعته، واقتراف معصيته، وتأويل نصوصه.

وكل هذا يدخل في مسمىٰ الإلحاد.

فمن الأول: ما ذكره الله عن فرعون طاغية مصر بقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ...﴾ (غافر:٣٦-٣٧)، فهذا إلحاد في وجود الله، وهو النوع المصطلح عليه **بالإلحاد الكلي**.

ومن الثاني قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ (الأعراف:١٨٠)، والإلحاد فيها " تارة يكون

بجحد معانيها وحقائقها، وتارة يكون بإنكار المسمىٰ بها، وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها " (١).

ومن **الثالث** قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾ **(فصلت:٤٠)**، **قال العلامة الطاهر بن عاشور التونسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والآيات تشمل الدلائل الكونية المتقدمة في قوله: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ **(فصلت:٩)** وقوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ **(فصلت:٣٧)** الخ، وتشمل الآيات القولية المتقدمة في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ **(فصلت:٢٦)**، فالإلحاد في الآيات مستعار للعدول والانصراف عن دلالة الآيات الكونية علىٰ ما دلت عليه، والإلحاد في الآيات القولية مستعار للعدول عن سماعها، وللطعن في صحتها، وصرف الناس عن سماعها " (٢).

ومن **الرابع** قول الحق جَلَّجَلَالُهُ في حرمة المسجد الحرام: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٢٥﴾ **(الحج:٢٥)** فمجرد إرادة المعصية قبل فعلها في هذا المكان الذي جعله الله حرمًا آمنًا يعتبر إلحادًا، ويلحق صاحبه عذاب أليم.

---

(١) [**(الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة)** لابن قيم الجوزية (١/ ٢١٧) ت ـ علي بن محمد الدخيل الله ـ ط/ دار العاصمة بالسعودية] وانظر للفائدة [**(القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ)** لمحمد بن صالح العثيمين (ص ٢٥ ـ ٢٧) ط/ مدار الوطن بالسعودية].

(٢) [**(التحرير والتنوير)** ٢٤/ ٣٠٤ ط/ الدار التونسية للنشر بتونس].

والتعبير بلفظ ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ يشعر بقباحة وشناعة وعِظَمِ ذَنبِ المُرِيدِ لذلك وإن كان صغيراً، قال **الإمام القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلىٰ الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالىٰ علىٰ نية السيئة فيه، ومن نوىٰ سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها إلا في مكة " (١)

وجملة الأمر : **أن كل مائلٍ عن الصراط المستقيم بشهوة أو شبهة، أو رافضٍ لشرع الله وحكمه يسمىٰ ملحداً، قَلَّ انحرافه أو كثُرَ، صَغُرَ أو كَبُرَ، فيكون إلحاده كليًا، وهو الكفر المطلق، ويكون دون ذلك**، فالإلحاد علىٰ هذا يشمل " إنكار وجود الله، وجحد حقائق الغيب، والتكذيب بشرع الله إما في ثبوته .. وإما في صدقه .. وإما في معقوليته .. وإما في عدله. فإلغاء عقوبة القصاص إيمانًا بأنها ظالمة أو غير معقولة نوع من أنواع الإلحاد، وإنكار وجود الجن نوع من الإلحاد، والمطالبة بالتحرر من قيود الشرع نوع من الإلحاد، وتفسير حقائق الغيب بما ينافي خبر خالق الغيب نوع من الإلحاد "(٢).

وكذا الدعوة إلىٰ خلط الأديان (**الإسلام واليهودية والنصرانية**) فيما سُمِّيَ مؤخراً **بالدين الإبراهيمي** نوع من الإلحاد، وتجويز الردة بحجة إدخالها في نطاق (لا إكراه في الدين) نوع من الإلحاد، وفصل الدين عن الدولة نوع من الإلحاد بل من أسوأ

---

(١) [(**الجامع لأحكام القرآن**) ١٢/ ٣٦ ـ ت : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ـ الناشر : دار الكتب المصرية بمصر].

(٢) كما في كتاب [(لَن تُلحِدَ) لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (ص ١٣) ط/ مطبوعات تهامة بالسعودية].

أنواعه، والقول بأن اليهودية والنصرانية أديان سماوية نـوع مـن الإلحـاد، والغلـو في الدين نوع من الإلحاد، والتفريط في ثوابته وأصوله باسم التسامح نوع مـن الإلحـاد، والدعوة إلىٰ تحرير الـمرأة من شرائع الإسلام التي تخصها نوع من الإلحاد.

وكما أَنَّ للإيـمان مراتب ودرجات؛ فللإلحاد منازل تهوي في ظلمات الـدركات، ظلمات بعضها أسود من بعض، لا مطمع فيها لأولِـي النُّهَىٰ، ولا فــرح بــالانتساب إليها عند أهل الحِجَىٰ.

ثالثاً: الإلحاد في الاصطلاح الـمعاصر هو: مذهب فلسفي قـائم علـىٰ فكـرة عدميـة، أساسها إنكار وجـود الله عَزَّوَجَلَّ !! أو التكـذيب بـالوحي ولوازمـه، أو اليـوم الآخـر ومتعلقاته، والكون نشأ بدون خالق، وحدث وجوده بالصدفة، وسينتهي بالصدفة كما بدأ، والـمادة أزلية أبدية، وهي الخالق والـمخلوق في آنٍ واحدٍ، والدين خرافة (١).

ونجد - بعد معرفة معنىٰ الإلحاد لغةً وشرعـًا ومعاصرةً - أن العلاقة بينها جميعـًا ظاهرة، يجمعها لفظ الانحراف سواء كان حسياً أو معنويـًا، وهـذا يوضـح لنـا وجـه تسمية العلماء للـمبتدعة وأهل الأهـواء والزنادقـة والـزائغين والـــمنافقين والكفـار بجميع أصنافهم واختلاف انحرافاتـهم بأهل الإلحاد.

---

(١) انظر [(**رَدُّ القرآن الكريم علىٰ الإلحاد والـملحدين**) د. علي بن عتيق الحربي ـ مجلـة بحـوث كلية الآداب (ص ١٠٢٢)] و[(**كواشف زيـوف في الـمذاهب الفكريـة الــمعاصرة**) لعبـد الـرحمن حسن حبنكة الـميداني (ص ٤٣٣) ط/ دار القلم بسـوريا] و[(**خطـر الإلحـاد**) مقالـة مـن إعـداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي علىٰ الشبكة] و[(**الـمنهج الشرعي في الرد علىٰ دعاوىٰ الإلحاد الجديد ـ دراسة تأصيلية نقدية للكتابات الـمعاصرة**) د. سعد بن بجـاد العتيبـي/ حوليـات كليـة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية ـ عدد ٣٢ مج ٢ (ص ٩٨٥)].

والإلحاد قديم جديد، وأنواع كثيرة، فمن قديمه: نوع أنكر أصحابه البعث والنشور والحياة الآخرة وهم المُسَمَّوْن بالدهريين **(ملاحدة الجاهلية)**، قال الله الخالق الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حاكياً مقالتهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ **(الجاثية:٢٤)**، قالوا: نموت ونحيا ويفنينا الدهر، وما نحن إلا من أرحام تدفع، إلىٰ أرض تبلع وينتهي كل شيء، فلا بعث ولا نشور، ولا حساب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار، معتقدين قدم الدهر وأزليته [١]، قال الله الخالق الحكيم راداً عليهم: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ **(الجاثية:٢٤)**، فليس علىٰ قولهم دليل، ولا لهم حجة، إنما أوهام وظنون.

والإلحاد بفلسفته المادية الوضعية هو السمة البارزة لحضارة الغرب اليوم المنصوص عليه في دساتيرها **بالعلمانية أو اللادينية** [٢] وإن وجد في بلدانها الدين النصراني واليهودي، فقد " بنت سلوكياتها علىٰ مبدأ المادية البحت، ومعاداة النظرة الغيبية والروحية " [٣].

معتمداً على ركيزتين اثنتين:

١- تمييع اليقين **(ضرب الثوابت اليقينية)**.

---

(١) انظر [**(دور الدرس العقدي المعاصر في مواجهة الإلحاد)** محمد أرارو ـ مجلة التراث عدد ١ ص ١١٦].

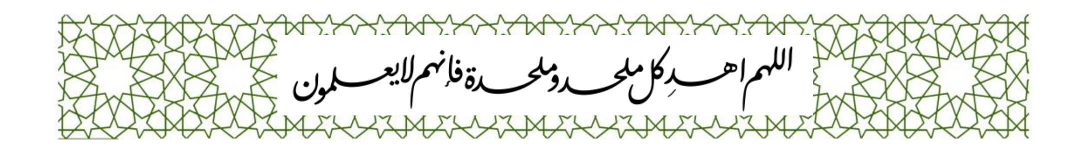
(٢) [**(الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها)** لعبد الرحمن عبد الخالق (ص ٦) ط/ الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية].

(٣) اقتباس من مقالة [**(ظاهرة الإلحاد خطاب ما قبل الدين والتدين)** لسيكو توري].

٢- تهوين التشكيك **(انتهاج مفهوم النسبية مع كل شيء)**(١).

فلا يوجد عندهم دين محترم، ولا أخلاق، ولا مبادئ، ولا ثوابت ، وهذا يفسر استحلالهم كل محرم، وإتيانهم كل منكر، ورميهم المقدسات الدينية والقيم الإنسانية والأخلاق الزكية وراء ظهورهم، فالذي يجري عندهم اليوم شيء مهول، وأحسن صورة تعبر عن هذا الواقع صورة **(مجتمع بلا بوصلة)** كما قال الناقد الفرنسي **جورج بالانديه**(٢).

وقد تعاظم انتشاره في الغرب بعد **أحداث ١١ سبتمبر !** وبات يعرف بـ **(الإلحاد الجديد)**، منادياً – في وهم باطل وخيال مجنون – باستئصال الأديان ومحوها من علىٰ وجه الأرض.



(١) كما في [**(أنواع الإلحاد نظرة مجملة)** لعلي حمزة زكريا (ص ٣٤) لا يوجد بيانات].

(٢) انظر بحث [**(نظرة علمية شرعية في واقع الانحراف الفكري المعاصر (سياق الإلحاد الجديد أنموذجاً) ومعالم مقترحة لتفعيل سياسة شرعية واعية)** د. عبد الله بن سعيد الشهري (ص ١٧) ط/ رابطة العالم الإسلامي المجمع الفقهي الإسلامي].


الوقفة (٣)
ما هي أسباب الإلحاد؟

إن اتخاذ قرار الإلحاد يعود إلىٰ عدة أسباب، وتعدد الأسباب يرجع إلىٰ البيئات التي يظهر فيها الإلحاد، فهناك أسباب للإلحاد في الغرب، وهناك أسباب للإلحاد في الشرق، وهي في حقيقتها ترجع إلىٰ نوعين: **نوع شهوات، ونوع شبهات**، وهذا الأخير تتعدد أنواعه، فهناك:

١- **أسباب نفسية.**

٢- **وأسباب دينية.**

٣- **وأسباب سياسية.**

٤- **وأسباب فكرية.**

٥- **وأسباب فلسفية**(١).

٦- **وأسباب اجتماعية.**

وسنقدم ذكر نوع الشبهات لتعدد أسبابها، وتأثيرها الواضح، وكثرة الواقعين فيها، ذاكرينها في سياق واحد، فمنها:

١- الجهل بالدين، والإعراض عن تعلم ما يجب من عقائده وتشريعاته وآدابه (**الأُمِّيَّةُ الدِّينِيَّة**)، وهو سبب طبيعي للوقوع في فتنة الإلحاد وغيره، فمَنْ لم يميز الحق من الباطل، ويعرف الشر من الخير؛ تسرب إليه الإلحاد وأخرجه من الإيمان ليدخله إلىٰ دين الملاحدة، وربنا الخالق الحكيم يقول: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ **(البقرة:٢٥٦)**، فأخبر أنه لا بد من أمرين:

---

(١) انظر [محاضرة الشيخ د. سعيد بن حسين القحطاني ضمن ورشة عمل بعنوان (**الإلحاد الجديد: ظاهرته ـ أسبابه ـ علاجه**)] علىٰ الرابط اليوتيوبي:
https://www.youtube.com/watch?v=ZtkvCYzxzRM

البراءة من الكفر، والإيمان بالله، ولا يكون ذلك إلا بعلم، وبدونه لا يتميز الكفر من الإيمان، بل يحصل الخلط بينهما، وفي بيئة الخلط تنبت بذور الإلحاد، وهذا أمر متوقع. **ويتفرع منه:**

٢- القراءة في كتب الملاحدة والحداثة العصرية التي لا تخلو من طعن في الدين ونصوصه ورموزه وقد صيغت بألفاظ منمقة ومبهرجة، مُجَرِّئَةً قارئيها علىٰ المساس بثوابت الدين ومقدساته، وجعلها عرضة للسخرية والنقد.

٣- التأثر بموجات التغريب والنظريات الفلسفية الحديثة الغربية والشرقية، وما تسرب من أنواع العلوم والفنون والثقافات التي عَمَّتْ فأَعْمَتْ، وتضاعفت فأضعفت الهوية، وعصفت بالمجتمعات الإسلامية حتىٰ أفسدت علىٰ كثير من الناس دينهم من الجَذْرِ، وكان من آثاره تلك الدسيسة القائلة بأن سبب تطور الغرب وحضارته هو ترك الدين ونبذه، واعتماد العقل بعيدًا عن وحي السماء.

٤- السفر إلىٰ بلاد الكفار، والاختلاط بالملحدين وغيرهم مع ضعف العلم الشرعي والتكوين المعرفي والوازع الديني، والإعجاب بأطروحات أفكارهم، ومباهج حياتهم، مع رؤية النفس بالنقص والتخلف والانهزامية، فيحصل التأثُّرُ ثم التقليد والمحاكاة، **والمغلوب مولع بالاقتداء بالغالب** كما قال العلامة المؤرخ ابن خلدون رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته (١).

٥- المشاكل الاجتماعية كالتفكك الأسري المتمثل في الطلاق أو التَّرَمُّلِ أو العلاقات المحرمة، وكثرة التنازع بين الأنساب والأصهار كما في بعض الدراسات النفسية لدىٰ بعض الملاحدة.

---

(١) [(ص ١٨٤) ت خليل شحادة ـ ط/ دار الفكر بلبنان].

٦- إهمال الآباء تربية أبنائهم تربية صالحة قائمة علىٰ تعظيم الدين وحُبِّهِ، وتعلم أصوله ومبادئه، وفي وصية **لقمان** لابنه، وتعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لابن عباس** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دروس عظيمة في التربية علىٰ الإيمان، وترسيخ لمفاهيم الدين في الأبناء، ودورهم في الحياة.

ومن الجناية علىٰ الأبناء تركهم في سِنٍّ ما يسمىٰ بالمراهقة، يخطئون ويستمرون في الخطأ والضلال، والتفلت الأخلاقي، ومقارفة المعاصي دون توجيهٍ ناصحٍ أو ضبطٍ حازمٍ، بحجة أنهم سيتركون ذلك مع مرور الأيام كما يفهم بعض الآباء !!!

٧- الفراغ الفكري والعقلي والعاطفي والرياضي الذي يعيشه الشباب، لا سيما خريجو الجامعات والثانويات، حيث يقتل الفراغ والبطالة أوقاتهم، ولا يجدون ما يشغلهم، ويستثمر نشاطهم، ويوجه اهتماماتهم بما يصرف عنهم فتن الشهوات والشبهات (١)، وقديمًا قيل:

لَقَدْ هَاجَ الفَرَاغُ عَلَيْهِ شُغْلاً ... وَأَسْبَابُ البَلَآءِ مِنَ الفَرَاغِ

٨- مخالطة رفقاء السوء من التائهين والمتحيرين والشكاكين الذين يعرضون شبهاتهم في صورة أسئلة، والصاحب ساحب، وَوَدَّ الملحد أن الناس كلهم ملاحدة، وصدق الله الخالق الحكيم في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ **(الكهف: ٢٨)**.

---

(١) انظر بحث [(**الإلحاد بواعثه - مظاهره -طرق علاجه**) أ.د. حسين مُحمد محمود عبد المطلب - دورية البيان كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا ـ جامعة الأزهر مج ١٧ عدد ١ (ص ٣٨٦)].

٩- النظرة التشاؤمية للحياة، ولحظ أحداثها بعين اليأس، فلا يرىٰ إلا صولة الشر، وخيبة الأمل، وسوء الحظ، وهذا يقود إلىٰ:

١٠- وجود تساؤلات عقلية عند بعض الشباب، تُقابَلُ من البعض - مع الأسف الشديد - بالإغلاظ في القول، والتعنيف والتخويف، والتقبيح والتوبيخ ! فيتولد عند أحدهم الشعور بالكراهية، فالدخول في عالم من الشكوك والظنون والأوهام، وتتزاحم في صدره الوساوس، ثم يغرق في لوازمها القاتلة، ثم ينحاز إلىٰ نفسه ويعيش سجينَ خَلْوَتِهِ وقد نبتت في صدره عقيدة إلحادية تكبر يوماً بعد يوم، لا يلبث إلا ويجهر بها لاحقاً.

ولا يخفىٰ أن الشيء يكون بذرة ثم نبتاً ثم شجرة، **والنهايات نتيجة البدايات**.

١١- التأثُّر بالأفكار والمضامين الإلحادية المنشورة بواسطة الميديا (الإعلام) لتشكيل **اللاوعي**، وذلك عبر أفلام وأغانٍ تتناول كل المواضيع والقضايا، ومن منطلقات وزوايا مختلفة، منها:

أ- المغالاة في الخيال العلمي لتهميش قدرات الإله الخالق.

ب- شيطنة الإله وجعله مصدراً للشرور.

ج- ازدراء الأنبياء والرسل، وتشويه مكانتهم في نفوس الناس.

د- الدعوة إلىٰ عبادة الشيطان واتخاذه إلـهـاً.

هـ- الترويج لممارسة السحر وتحسين صورته.

و- تصوير الوجود والحياة بمظهر العبثية والعدمية واللاغائية.

ز- استغلال ثغرات النفس والعقل والخيال.

ح- الإغراق في عرض الشهوات والعري، وتحبيب الزنا والخيانة.

ط- تنميط الأديان والأخلاق بمفاهيم مشوهة وتهكمات ساخرة لتهوين مكانتها في النفوس.

ي- جعل ما يسمىٰ بـ (**الإنسانية**) ثابتًا مقدسًا فوق كل شيء.

ك- الدعوة إلىٰ مساواة المرأة بالرجل وعدم تمييزها عنه، ورفض الاضطهاد والنزعة الذكورية التي مصدرها الأديان زعموا !... وغيرها [١].

١٢- صناعة جماعات دينية متشددة تنتهج الغلو في فهم النصوص الشرعية وتطبيقها، واختراق أخرىٰ موجودة علىٰ الساحة بأفراد يتمظهرون بالدين لممارسة الإرهاب والتشويه والتضليل عمليًا، صَدًّا عن سبيل الله وبغيها عوجًا، وتشكيكًا بالأديان، وهذا من أمكر ما قاموا به.

١٣- وجود عقائد وعبادات وسياسات مُحدثَةٍ نسبت إلىٰ الدين وهو منها براء، وشوَّهَت مفهوم الإله الذي دعا إليه الأنبياء والرسل، وأفسدت حقيقة الإيمان بأفكارها المتناقضة، وممارساتها الطاغية وتأويلاتها المحدثة التي كَرَّهَتْ إلىٰ الناس الأديان وأهلها.

١٤- القتل والحروب وما تولده من ردود فعل عاطفية غير واقعية، وأسئلة غير منطقية عند الملحد، لأن الصراع طبيعة في وجود الإنسان، سواءً وُجِدَ الدين أو لم يوجد، بل هناك حروب قادها الإلحاد كما سياتي إن شاء الله، **وهذا سبب سياسي**.

---

(١) انظر [(**الميديا والإلحاد السينما واللاوعي، الخطاب الشعبي للإلحاد**) م. أحمد حسن (ص ٤٣ وما بعدها) ط/ مركز دلائل بالسعودية] وبحث [(**الخطاب الإلحادي في السينما الأمريكية من خلال فيلم (Mother) دراسة تحليلية**) صابر بقور وعبيدة صبطي ــ المجلة الجزائرية للأمن الإنساني مج ٥ عدد ١ (ص ١٣٣ ـ ١٥٧)].

١٥- وجود أحزابٍ وجمعياتٍ ومنظماتِ مجتمعٍ مَدَنِـيٍّ تعمل علىٰ إضعاف روح الإسلام وتجريده من جوهره، وتعطيل رسالته، واستنقاص كمالـه، وحصـر مفهومـه الواسع الكبير في طقوس عبادية محدودة الزمان والـمكان، داعيةً إلىٰ نقد الـموروث، وتجديد الخطاب الديني بخلط الإسلام بالـمذاهب والنظريـات الإلحاديـة الهدامـة تحت الشعار الخادع (**الوسطية والـتسامح**).

١٦- أنظمة الحكم الإلحاديـة كالشيـوعية والديـمقراطية والعلمانيـة والليبراليـة والدولة الـمدنية، فكل هذه تُرَوِّجُ للإلحاد قليله وكثيره، وفي ظِـلِّ قوانينهـا ومبادئهـا يجد الإلحاديون ما يبيح لهم مـمارسة إلحادهم، والطعـن في الأديـان، والتعبيـر عـن أفكارهم الـمنحرفة.

وأما ما يتعلق بـنـوع الشهوات فيرجع إلى:

١٧- حب اقتراف الشـهوات والـملذات الـمحرمة، وعـدم الرغبـة الصـادقة في ممارسة شعائر الدين والالتزام بقيودها الضابطة، والإلحاد يفتح لصاحبه الباب علـىٰ مصراعيه لنيلها دونـما وازع ديني أو مبـدأ أخلاقـي أو ضـمير إنسـاني، حتىٰ يصـيبه بالخلل العقلي والحِطَّة الخلقية، فلا يحل الـملحد حلالاً، ولا يحـرم حرامـاً إلا مـا أشرب من هواه، **والشهوات باب للشبهات** كما قيل.

وبعد سرد جملة من أسباب الوقوع في الإلحاد يلاحظ القارئ أن منها:

١- ما يعود إلىٰ الـملحد نفسه.

٢- ومنها ما يعود إلىٰ أسباب خارجية متنوعة الـمآخذ والتأثير.

وإن من ينظر إلىٰ الواقعين في أسباب الإلحاد هذه سيجدهم مـن جيـل الشـباب الصاعد، والـمراهقين، وغير الـمتعلمين، وضعاف النفوس، وجَهَلَةِ الدين.


الوقفة (٤)
من يقف وراء الإلحاد؟

إننا ندرك خطر الإلحاد والسعي لصبغ العالـم بأفكـاره وسـوء آثـاره، ولا ينبغـي التهوين من شأنه، فهو اليوم يشكل ظاهرة عالـمية تـمتد علىٰ طول الأرض وعرضها، فالسياسة والاقتصاد والثقافة والإعلام والفنون والفكر والعلاقات الإنسانية والدولية ملوثـة برجس الإلحاد، ومن الخطأ بـل مـن الحماقـة تجاهـل هـذه الحقيقـة بَـلْـهَ تكذيبها، فالدول الكبرىٰ والـمنظمات الدولية التي تقود العالـم، وكبريات وكـالات الإعلام وشركات الإنتاج السينمائي والكرتـوني التـي تصـنع الأفكـار والـثـقافات، والشركات العابرة للقارات والجنسيات، والبنـوك الدوليـة التـي يُـدار بهـا اقتصـاد العالـم، كل ذلك يتحرك بدافع ماديٍّ إلحادي !!

وكان من الطبيعي - والحال هكذا - أن تعيش البشرية أسوأ حالاتـها، فالحروب قائـمة ولـم تنتهِ، وقانون الغاب هـو سـيد الـموقف، والفوضـىٰ تسـيح في الأرض، وتلويث الطبيعـة، وإفسـاد الـهواء، والاضـطرابات والأزمـات والجـرائم والفسـاد وشبكات الدعارة والأمراض والأوبـئة ما صُـنِـعَ منها وما لـم يُصنع تشـكل قلقـًا في الـمجتمعات البشرية، وإذا بُحِـثت أسبابـها كان الإلحاد أولها وأولاها.

إن ذهنية الفساد الـمتوغلة في نفوس الـمفسدين أظهر ما تكون في **الجنس المتمرد اليهود**، فلا يُذكر الفساد إلا ويأتي لصيقـًا بـهم، وصار من الـمتواتر بين النـاس قاطبـة فسادهم وإفسادهم للبشرية بكل وسيلة، وبصور متعددة، من نظريات تنشئها أو مبادئ تنشرها، أو عبر أنظمة تقيمها، لتحطيم الفوارق والخصوصيات، والقبائل والقوميات، والأديان والألوان، بحيث صار مشروعَ وجودِهِم وتواجـدهم أينمـا وجـدوا، سـعيـًا لتحقيق آمالهم في الأرض التي تحركها عصبيتهم لجنسهم، وحقدهم علىٰ جميع الأمم، واحتقارهم لكل الشعوب، وشعورهم بالغربة والعزلة مع مرارة وبكاء كل العصور.

والحق الحقيق بالقول؛ لقد صار العالم مسرحًا لترويج الإلحاد بما أنشؤوه من الشيوعية والعلمانية، وكلها من إنتاجات اليهود، وليس يخفىٰ ما يقوم به ذراع اليهود الخفي (**الماسونية**) من نشر الإلحاد عبر الدعاية لتبني الديمقراطية والليبرالية في العالم، وبذلك كله حُكِمَت بلدان وشعوب تغيرت دياناتها وثقافاتها وعاداتها حتىٰ صارت أفكارها وأنماط حياتها ذات مفاهيم إلحادية واضحة تزداد انحرافًا عن الفطرة والإنسانية يومًا بعد يوم، وتتعمد التركيز علىٰ تشويه الأديان، وإفساد أخلاق الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، **فاليهود هم أرباب الإلحاد وناشروه بين الناس**، جاء في **بروتوكولات حكماء صهيون - البروتوكول الرابع** -[١] قولهم: " إذا ساد الإيمان بالله فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تُقَسَّمَ الأرض إلىٰ أقاليم، وعلىٰ كل إقليم راعيه الوَصِيِّ، فيسير الشعب راضيًا قنوعًا تحت إرشاد الراعي الروحي إلىٰ ما فيه مشيئة الله علىٰ الأرض، **وهذا هو السبب في أنه من المُحَتَّمِ علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغوييم (غير اليهود) المبدأ القائل بأن هناك إلهًا ربًا وروحًا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية، ولكي لا نعطي الغوييم وقتًا للتفكير والروية؛ فيجب تحويل أذهانهم إلىٰ الصناعة والتجارة** "[٢]

---

(١) من [(**بروتوكولات حكماء صهيون**) ط/ فكتور مارسدن (ص ١٦١- ١٦٢) ط/ الحرية للنشر والتوزيع بمصر].

(٢) وانظر [(**بروتوكولات حكماء صهيون**) ط/ محمد خليفة التونسي للبروتوكولات (ص ١٦٩) - ط/ الرابعة ـ دار الكتاب اللبناني بيروت] و [(**كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة**) ص ٧٨ ـ ٨٢/ مصدر سابق].

ومن هذا النقل يدرك القارئ كيف نجح اليهود في إسقاط الملايين من غير اليهود في العالم في ضلالات الإلحاد وهم لا يشعرون ؟! حتىٰ صار نظرياتٍ تُدَرَّسُ في المدارس والجامعات، ودينًا تتبنَّاه الدول والحكومات كبديل عن أديانها، ومنهجًا تنشره المراكز والمؤسسات، وأفلامًا تنتجه شركات الإنتاج الفني لتؤثر علىٰ العقول والمَلَكات.

وتُعَدُّ **نظريات اليهود:** **ماركس** في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ وتنازع الطبقات، **وفرويد** في علم النفس، **وداروِن** في أصل الأنواع، **ودُوْرْ كايم** في علم الاجتماع أسس الإلحاد في العالم، وكلها من صناعة اليهود وهم مُتَوَلُّو نَشْرِها، فقد جاء في **بروتوكول حكماء صهيون - البروتوكول الثاني** - : " لا حظوا هنا؛ إن نجاح **دارون وماركس ونيتشه** قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي (غير اليهودي) سيكون واضحًا لنا بالتأكيد " (١)

ولن ينسىٰ التاريخ ما قام به اليهودي الهولندي **باروخ سبينوزا** داعية وحدة الوجود وأحد رواد العلمانية، واليهودي الفرنسي **هنري برجسون** الذي قامت فلسفته علىٰ أن لا مصدر رباني للدين والأخلاق، والوحي خرافة من اختراع الإنسان،

---

(١) [(**بروتوكولات حكماء صهيون**) ص ١٢٣ ـ ١٢٤/ مصدر سابق] وانظر [طبعة فكتور مارسدن **للبروتوكولات** (ص ١٥٥) مصدر سابق] و [(**خطر الإلحاد**) مقالة من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي علىٰ الشبكة] و [(**اليهود وراء كل جريمة**) لوليم كار (ص ٤٤) وما بعدها) ـ شرح وتعليق خير الله الطلفاح ـ ط/ دار الكتاب العربي بلبنان] و [(**المنهج الشرعي في الرد علىٰ دعاوىٰ الإلحاد الجديد ـ دراسة تأصيلية نقدية للكتابات المعاصرة**) ص ٩٩٣/ مصدر سابق].

واليهودي الفرنسي **جان بول سارتر** رأس الوجوديين الملحدين الداعي إلىٰ تأليه الإنسان، وأن حريته هي الوجود الحقيقي (١).

وهذا شاعر اليهود القومي **يهودا عميحاي** الحائز علىٰ جائزة الأدب في دولته اللقيطة اللفيفة (إسرائيل) سنة ١٩٨٢م – وتكريم الدولة له دلالته – يقول في قصيدة له بعنوان: (**نهاية شهر أيلول**) في نزعة إلحادية صارخة وقحة:

أنا متعب وأَسُبُّ الأديان الثلاثة المعروفة
لأنها لا تدعني أنام ليلاً
بالأجراس، بالصراخ، وبالأبواق والأدعية المزعجة
يا ربِّ ! أغلِقْ بيوتك.. واترك العالم بسلام !! (٢)

وها هم أولاء يصرحون في بروتوكولاتهم مرة أخرىٰ بهدفهم من صبغ العالم بالإلحاد، فقالوا: " يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي **إثمار ملحدين** " (٣).

---

(١) انظر بحث [(**اليهود المُتَخَفُّون وأثرهم علىٰ النصرانية والإسلام**) د. أبو بكر عبد المقصود محمد كامل ـ مجلة الدراسات الإسلامية والعربية (ص ٩٠ ـ ٩١)] و [(**كواشف زيوف**) ص ٣٥٠/ مصدر سابق] و [(**الموسوعة الفلسفية العربية**) ٣/ ١٥١٤ ـ لمجموعة باحثين ـ ط/ معهد الإنماء العربي].

(٢) [(**الإلحاد في الأدب العبري**) د. عصام صبحي جميل ـ مجلة الجامعة العراقية (العدد ٥٥/ ج٣ ـ ص ٢٣١)].

(٣) [(**بروتوكولات حكماء صهيون**) ط/ محمد خليفة التونسي (ص ١٦٩) ـ مصدر سابق].

فائدة: يرىٰ د. أحمد بن عبد الله الزغيبي أن تسمية (**بروتوكولات حكماء صهيون**) خاطئة لا تطابق واقع ما عليه اليهود الصهاينة وما أعدوه من خطط، واستبدل ذلك بـ (تقارير زعماء صهيون) وعَلَّلَ ذلك، فانظره في كتابه [(**العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي** =

وماذا بعد إثمار ملحدين في العالم؟

الجواب معروف؛ حيث العالم بجميع شعوبه وحكوماته - بعد تنكيس فطرتها واجتثاث الدين والأخلاق منها - يتهيأ للسيطرة عليه من قِبَلِ اليهود الذين تقف وراءهم حكومة خفية تزعم أنها الأصلح لحكم العالم! وتسييره بنظامها الشيطاني العالمي!!

ولا أَدَلَّ ولا أبْيَنَ ولا أصدق علىٰ إفساد اليهود للبشرية بالإلحاد وغيره من قول الحق الواضح المبين: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤﴾ (المائدة:٦٤) ففيهم نزلت هذه الآية، وعنهم تتحدث، وهذا هو عملهم، يسعون في حركة دؤوبة لا تتوقف ولا تهدأ، ولا توانٍي فيها ولا كسل، بل سعي بالليل والنهار، وفي كل ميدان، ومفتوح علىٰ جميع الأبواب، ولا يستثني أحداً في شرق الأرض ولا غربها، فهم موقدو الحروب، ودعاة الفتن، وسعاة الفساد، وهادمو الأخلاق، بما يدل علىٰ نفوس متغلغلة في الشر، تَـمَيَّزُ بالغيظ، ساخطة علىٰ البشرية للانتقام والتخلص منها بأي وسيلة، لا لشيء سوىٰ أنها ليست من العنصر اليهودي.

وقول الخالق الحكيم تعالىٰ: ﴿فَسَادٗا﴾ إما **حال**: فهم يسعون في الأرض مفسدين، فهذا حالهم دائماً، وإما **مفعول لأجله**: فهم يسعون لأجل الفساد، وكلاهما منطبق علىٰ اليهود، وبهما يعيشون.

والقرآن عندما يسجل هذه الحقيقة الكاشفة لدور اليهود في الأرض فهو ينبهنا للبحث والنظر في إفسادات اليهود للبشرية والحياة علىٰ مدىٰ التاريخ، وإشعال

= **والموقف منها**) ١/ ١٢٢ ح ٢) ـ ط/ مكتبة العبيكان بالسعودية].

الحروب بين الحكومات والشعوب، وعرض ونشر الـمعلومات والحقائق التي تبين ذلك للناس، وذلك:

١- ليكونوا علىٰ علم بأعداء الله والرسل والبشرية، وخُدَّام الشيطان وعبيده، القائلين ما يبين موقفهم العنصري الحاقد تجاه البشر: " اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم علىٰ اليهودي أن يُنَجّيَ أحداً من باقي الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها، لأنه بذلك يكون حَفِظَ حياة أحد الوثنيين " (١)

٢- وليقوموا بما يجب تجاه فسادهم البغيض، وإفسادهم العريض.

وقد لاحظ بعض الـمتابعين لخطابات الـملحدين الجدد عدم تعرضهم لنقد اليهودية مع زعمهم نبذ جميع الأديان، وأن جزءًا كبيرًا من انتقاداتهم كان موجهًا مباشرة ضد الإسلام، ملاحظين في الوقت نفسه وجود أصول دينية محددة تقود هؤلاء الـملاحدة ! (٢).

وغير خافٍ أن اليهود كانوا وراء تحريف ما بعث الله به موسىٰ وعيسىٰ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ من الدين، وطالت تحريفاتهم الكتاب الـمقدس بعهديه القديم (**التوراة**) والجديد (**الإنجيل**)، حتىٰ أوصلوه إلىٰ تناقضات لا يقبلها عقل ولا يرتضيها منطق، ولـمَّا ضاق الناس بذلك ذرعًا؛ تولىٰ اليهود دفع الثورة الفرنسية للصدام مع الكنيسة

---

(١) انظر [(**الكنز الـمرصود في قواعد التلمود**) أوغوست روهلنج ـ (ص ٦٦) ترجمة د. يوسف نصر الله ـ ط/ مطبعة الـمعارف بـمصر] و [(**العنصرية اليهودية وآثارها في الـمجتمع الإسلامي والـموقف منها**) (١/ ٧٦) مصدر سابق].

(٢) مقال [(**الـملحدون الجدد يتجنبون انتقاد اليهودية أو الـمشروع الديني لإسرائيل ويركزون علىٰ مهاجمة الإسلام**) لرائد صالحة ـ صحيفة القدس العربي علىٰ الشبكة العنكبوتية].

ودينها المحرف، ولاهوتييها المستبدين، واستحداث أيديولوجيا جديدة تعورف عليها فيما بعد باسم العلمانية والتي هي إنتاج يهودي بامتياز، جاء في **البروتوكول الثالث** (١) قولهم: " تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرىٰ)؛ إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً، لأنها من صنع أيدينا، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلىٰ خيبة " .

وليس بمُجْدٍ التشكيك بما جاء في هذه البروتوكولات، فلسان حالها أنطق من لسان قَالِهَا، ومسطورها قائم الشواهد، ملموس الوقائع والآثار(٢).

وهذا يؤكد مرة أخرى أن اليهود هم أرباب الإلحاد وصانعوه ومروجوه، لقد ألحدوا ولا زالوا يلحدون، ويسوقون البشرية إلى الإلحاد، لقد ألحدوا ثلاث مرات:

١- ألحدوا يوم حرفوا الدين (**ما كان عليه أنبياؤهم وكتبهم السماوية التوراة والإنجيل**)، ويريدون تحريف الإسلام وقرآنه، ولكن هيهات هيهات لما يلحدون .

٢- وألحدوا يوم حرفوا العلم (**نظرية داروين القردية أنموذجاً**).

٣- وها هم يلحدون بتحريف فطرة الإنسان اليوم إلىٰ الشذوذ والتحول الجنسي، وفرضه كمبدأ حقوقي لكل شاذٍ وشاذة علىٰ العالم كله !!!

وكل هذه الإلحادات تفرعت من إلحادهم الأول الذي قام علىٰ الكفر بآيات الله وقتل النبيين كما بيَّنه الله في غير موضع من تنزيله المبين، كقوله تعالىٰ:

---

(١) من [(**بروتوكولات حكماء صهيون**) ط/ محمد خليفة التونسي (ص ١٢٩) ـ مصدر سابق].

(٢) انظر ما يؤكد ذلك في [(**العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها**) (١/ ١٣٢ ـ ١٣٤) مصدر سابق].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ ...﴾ (البقرة:٦١)، فلما صاروا بذلك ملحدين، ونزعت العقدة النفسية فيهم كل منزع؛ ودُّوا أنْ لو ألـحَدَ الناس كلهم، وأن نكون نحن معشر المسلمين - خاصة - كفاراً ملحدين كما كانوا حسداً من عند أنفسهم، فسعوا - ولا يزالون - إلىٰ نشر الإلحاد بين الناس، وفي جميع أبواب الحياة (١).

وصدق الشيخ **عبد الرحمن حسن حبنكة الـميداني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما قـال: " حيـثُ وَجَدْتَّ مكـراً يهـدف إلـىٰ الـدين أو الأخـلاق، أو الـنظم الاجتماعيـة أو السياسـية الصالحة، أو من شأنه أن يُـفضِي إلىٰ تدمير الإنسانية؛ **فابحث عن الأصـابع اليهوديـة وراءه** " (٢).



(١) وانظر أنواعـًا وأمثلة لإلحاد اليهود في الدين كما ذكرها القرآن في [(**العنصرية اليهودية وآثارهـا في الـمجتمع الإسلامي والـموقف منها**) (١/ ٢٦٥ ـ ٢٧١) مصدر سابق].

(٢) [(**كواشف زيوف**) ص٣٥٠ ـ مصدر سابق].


الوقفة (٥)
الإلحاد مخاطر سوء وآثار فساد

ما من شك أن المذهب الإلحادي بنظرته المادية للكون والحياة، الجاعل صاحبه يعيش بلا هدف ولا إيمان؛ يخلف آثاراً سيئة ونتائج خطيرة على مستوى الفرد والمجتمع الذي يتواجد فيه، وهذه جملة منها:

١- غياب تفسيرٍ منطقيٍّ واعٍ للوجود والحياة، فلا يدري الملحد كيف وُجِدَ؟ ولماذا وُجِدَ؟ وإلى ماذا سيصير؟ ولا يجد جواباً عليها إلا القلق والحيرة والاضطراب النفسي.

وتُعَدُّ (قصيدة الطلاسم) من أبلغ ما عَبَّرَ عن التيه والحيرة، والخواء الروحي واليأس والقنوط الذي يعيشه الملاحدة، قال شاعرهم:

جئتُ لا أعلمُ من أين ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قُدَّامِي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئت كيف أبصرت طريقي
لستُ أدري !
أجديد أم قديم أنا في هذا الوجودْ
هل أنا حرٌ طليقٌ أم أسيرٌ في قيودْ
هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مقودْ
أتمنَّى أنني أدري ولكن
لستُ أدري !
وطريقي ما طريقي أطويلٌ أم قصيرْ
وهل أنا أصعدُ أم أهبطُ فيه أم أغورْ
أأنا السائر في الدرب أم الدرب يسيرْ
أم كلانا واقفٌ والدهر يجري

لستُ أدري!

أتـراني قـبلما أصبحتُ إنسـاناً سـويا
أتراني كنتُ محواً أم تـراني كنت شيئا
ألـــهذا اللغزِ حَـلٌّ أم سيـبقى أبـديـا
لستُ أدري، ولـماذا لستُ أدري؟

لستُ أدري!

إلىٰ آخر قصيدته التي تصور حال الـملاحدة البئيس، ولا أَدْرِيَّـتَهُمُ الحائرةَ الضالةَ طريقَ الحقِّ الـمبين، باحثين عن الـمعنىٰ الـمفقود وسط شـعور عميـق بـالاغتراب، قال الله الخالق الحكيم جَلَّ أمره وصدق خبره: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢﴾ (الملك:٢٢).

فماذا وَجدَ مَنْ فَقَدَ اللهَ؟ وماذا فَقَدَ مَنْ وَجَدَ الله؟ وهل يستوي الأحياء والأموات؟ أم هـل تسـتوي الظلمـات والنـور؟ قـال الله الخـالق الحكـيم: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢﴾ (الأنعام:١٢٢).

ومَنْ كان في الظلمات فلا عجب في أن يتيه مـع كـل خُـزَعْـبَـلَــةٍ، ويصـافح كـل خرافة، ويتسكع معها في الضلالة، " وينتكس بين أمواج الحيرة، يدفعه ريب، ويتلقـاه شكٌّ إلىٰ أبد الآبدين " (١).

---

(١) كما في [(الرد علىٰ الدهريـين) لجمال الدين الأفغاني (ص ١١) ـ ترجمة تلميذه مـحمد عبـده المصري ـ ط/ مطبعة الموسوعات بمصر سنة ١٣٢٠هـ].

٢- يقطع الإلحاد علىٰ صاحبه طريق الآخرة، فلا جنة ولا نار، وبالتالي فلا حلال ولا حرام، حتىٰ العلم المادي يتعلمه ويوظفه للمتعة، فالملحد يعيش ليتمتع بالشهوات والملذات فقط، وينطلق في الحياة مهرولاً لأجل الكسب والمنفعة المادية، يقوده في ذلك شبهات وشهوات، قال **ابن قَيِّم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وإذا انضاف الهوىٰ إلىٰ الشبهة؛ تَرَحَّلَ العقل والإيمان، وتمكن الهوىٰ والشيطان " (١).

هذا هو الإلحاد في بدايته ونهايته.

ولم يشهد التاريخ البشري دعوة للحَطِّ من آدمية الإنسان وإهدار كرامته، وإثارة الغرائز، وإلهاب الشهوات كما شهدها عصر الإلحاد اليوم، وكانت **نظرية اليهودي الملحد فرويد** الداعية إلىٰ تفسير ظواهر الإنسان المختلفة بالدافع الجنسي سبباً في صبغ تلك المجتمعات بالأنانية والإباحية المجنونة التي جعلتهم أَضَلَّ من الأنعام سبيلاً !! وكان من أخطر آثار هذا الأثر السيئ :

٣- تفشي ظاهرة الانتحار في أوساط الملاحدة، وبحسب الإحصائيات فأعلىٰ معدلات الانتحار في العالم تتواجد في المجتمعات الإلحادية !

ولكن لماذا الملاحدة أكثر الناس انتحاراً ؟

لأن إلحادهم لا يستطاع، وفلسفتهم عن الحياة لا يمكن أن تُعاش !! إنها تعادي الإنسان نفسه، ويشعرون معها بجحيم وجودي لا صبر لهم عليه إلا بالهروب إلىٰ الانتحار !!! أسوأ الخيارات ! وأخسر الصفقات ! وقد قال **الإمام ابن الوزير اليماني**

(١) من [(**الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة**) ٤/ ١٣٨٨ ـ مصدر سابق].

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فإن النفس كما أنـها بعيدة الإيـمان؛ فإنـها بعيدة الأمان، وخوفها أعظم الأعوان على إيـمانـها " (١).

وصدق مَنْ قال - وتنسب إلى **الدكتور عبد الوهاب الـمسيري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: " الفكر الإلحادي ليس كفراً بالإله وحسب؛ وإنـما هو كافر بالإنسان أيضـًا، إذ يعلن موت الإله ثم موت الإنسان ككائن مقدس عن بقية الكائنات، متميز عن الطبيعة " .

والعلاقة واضحة بين نزع قِيَمِ الدين، وإماتة الوازع الأخلاقي، ومسخ الفطرة، وفقدان الأمل، والانحلال من الفضائل، والانغماس في الرذائل **(الـمخدرات والكحول وسائر الـموبقات)** وبين الانتحار.

إنه لـما استوحش القلب بتلك الظلمات التي أحلها بداره الإلحاد؛ هانت جريـمة الانتحار، وكأن الانتحار هو الـمصير الـمحتوم في حياة النِّيْتْشَاوِيِّيْنَ الضنكةِ العيش، التَّعِسَةِ البَئِسةِ !!(٢).

٤- تسلط الأعداء وسقوط الدول، وسَوْمِ أهلها بأنواع القتل والاستئصال والتنكيل بسبب وجود الإلحاد - ضمن أسباب أخرى - على مستوى القيادة والنخبة

---

(١) [**(إيثار الحق على الخلق)** ١/ ٤٧٨ ـ ت ـ أبي نوح عبد الله بن محمد اليمني ـ ط/ دار الصميعي بالسعودية].

(٢) وانظر بحث [**(الإلحاد الـمعاصر سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها)** لسوزان بنت رفيق الـمشهراوي ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر ـ مجلد ٣٥/ عدد ١ (ص ٩٩٧ - ٩٩٨)] و [**(الإلحاد أسبابه وتداعياته وكيفية مواجهته)** د. غادة رمضان امبابي رمضان ـ مجلة كلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان مصر ـ عدد ٤ (ص ١١٩٥ - ١١٩٧)].

والعامة، قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سبب دخول التتار بلاد المسلمين وقتل خليفتهم وعلمائهم وعامتهم، وتخريب حواضرهم العامرة بما لم يُسمع به من قبل: " وكان من أسباب دخول هؤلاء ظهور الإلحاد، والنفاق، والبدع " (١).

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالذي أَذَلَّ اليونان للرومان هو الإلحاد، حتىٰ كَبَّلُوهُم في قيود العبودية زمنًا طويلاً بعدما كانوا حكامًا في الأرض بلا معارض، وكذلك الفرس الساسانيون لـمَّا حمل عليهم المسلمون حملة واحدة أزالت إمبراطوريتهم من علىٰ مسرح الحياة، وهزموهم شرَّ هزيمة في يوم من أيام الله، ولن ينسىٰ التاريخ ما جرىٰ للدولة الباطنية الملحدة في مصر، المتسماة كذبًا وزوراً بالدولة الفاطمية !! وتمكين الله **للسلطان صلاح الدين الأيوبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طي صفحتها الآثمة من حياة المسلمين، وكذا ما دونه التاريخ في أسود صفحاته من جرائم الإسبان الصليبيين في الأندلس ضِدَّ المسلمين الذين ألحدوا في السياسة والعلوم والأخلاق، وقُلْ مثل هذا في أواخر الدولة العثمانية التي تهاوت بسبب دخولها في مذاهب منحرفة هي من جنس الإلحاد في الدين، فَسُلِّطَت عليها مهلكة الحرث والنسل عدوة البشرية أوروبا (٢).

---

(١) [(**مجموع الفتاوىٰ**) ١٣/ ١٨٠].

(٢) انظر : [(**الرد علىٰ الدهريين**) لجمال الدين الأفغاني (ص ٣٣ وما بعدها) ـ مصدر سابق] و[(**كيف سقطت الدولة العثمانية ؟**) لسليمان الخراشي (ص ٦) – ط/ دار القاسم بالسعودية] و[(**أربعون سببًا من أسباب سقوط الأندلس**) للدكتور عبد الحليم عويس ـ ط/ دار الصحوة بمصر].

هذا السبب قَلَّ مَنْ نَبَّهَ عليه، وهو غني عن جعله السبب الوحيد، ولكنه من أَهَمِّ الأسباب الجوهرية التي تقف وراء زوال الدول، وفناء الأمم والحضارات.

ولا نجد غضاضة في ربطه بواقع أمتنا الذليل، وتسلط أعدائها عليها من كل حدبٍ وصوبٍ؛ فهي لا زالت تتخبط في مناهج الشرق والغرب الإلحادية، ولا عزة لها ولا تمكين حتىٰ تراجع دينها.

٥- إهدار حقوق الفرد والمجتمع، وتفكيك الروابط الاجتماعية والأسرية بين الناس بجعل القيم الأخلاقية ذات مفهوم نسبي لا ثبات لها، فهي تتغير من حين لآخر، والنتيجة: لا مبادئ ثابتة، ولا قيم راسخة، ولا أخلاق فاضلة.

وماذا بعد هدم كيان الأسرة وتفكيك روابط المجتمع ؟!

٦- إفساد الفطرة الإنسانية، ومسخ الجِبِلَّةِ البشرية، فهو يدفع أصحابه - بحكم أنهم مادة - إلىٰ مشاكلة الحيوانات في خسائس الصفات، فلا تهذيب للنفوس، ولا تزكية للعقول، بل يقف بالعقول عن حركة الفكر، ويمنع النفوس عن قصد المعالي، فبدلاً من الترقي إلىٰ عرش المدنية الإنسانية؛ إذا به يهوي بأصحابه إلىٰ أسفل من البهيمية الحيوانية. وانظر إلىٰ أكثر بلاد العالم إلحاداً (**أوروبا وأمريكا**) ترَ عجباً من ذلك لم يوجد في أمة ، ولا دوَّنه تاريخ قط مذ خلق الله آدم .

٧- وجود النزعة الفردية الأنانية عند أهل الإلحاد، فلا يفكر الملحد إلا في نفسه، وليس بغريب بعد هذا أن تكون الرأسمالية التي تُعَظِّمُ تحصيل المال للفرد من إنتاجات الإلحاد، إذ نَمَتْ بسببها حركة التجارة، وقويت عجلة الصناعة، وَوُجِدَتْ مليارات الأموال يملكها مليارديرات الأغنياء، وشعوب تعيش تحت خط الفقر، تموت وتفنىٰ بلا رحمة.

كما ظهر بسبب النزعة الفردية الإلحادية مبدأ البقاء للأقوىٰ اعتماداً علىٰ **نظرية دارون اليهودي الملحد** في البقاء للأصلح، وشهدت القرون الماضية وما تلاها حملات استدمارية، تَمَّ من خلالها احتلال الدول وغزو البلدان واستعباد الشعوب، **وما موسوليني! وهتلر! وستالين! ولينين! وماوتسي تونغ! وبول بوت! وما حكومات الغرب الملحدة اليوم** إلا أجزاء من منظومةٍ فلسفيةٍ إلحاديةٍ عنصريةٍ أنانيةٍ صنعت أسلحة الدمار الشامل، وقادت البشرية إلىٰ الحروب في الشرق والغرب، وبسببهم قتل عشرات الملايين من الناس، ومورس القهر والتدمير، ونهبت الخيرات والثروات، ولا تزال كذلك، قال عالم الأنثروبولوجيا الإسباني **جوان كوماس**: " وقد رَحَّبَ البيض أشد الترحيب بـ **نظرية دارون** Darwin الخاصة ببقاء الأصلح، واعتبروها قضية تؤيد وتدعم سياسة التوسع والعدوان علىٰ حساب الشعوب **(المنحطة)**، وقد جاءت **نظرية دارون** في الوقت الذي كانت الدول الكبرىٰ فيه منشغلة بتأسيس إمبراطورياتها الاستعمارية، فساعدت الرجل الأبيض علىٰ تبرير أعماله بالنسبة لنفسه، وأمام غيره من بقية البشر " (١).

وقال المؤرخ الأمريكي **وليم غاي كار**(٢): " وكان هذا المذهب **(فلسفة نيتشه)** الأساس الذي تفرع عنه فيما بعد المبدأ الفاشيستي ثم المبدأ النازي " .

---

(١) من كتابه [**(خرافات عن الأجناس)** ص ١٢ ـ ترجمة محمد رياض ـ ط/ مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة بمصر].

(٢) في كتابه [**(أحجار علىٰ رقعة الشطرنج)** ص ١٨ ـ ترجمة : سعيد جزائرلي ـ ط/ دار النفائس بلبنان]

وجاء في كتاب (**الوجه الحقيقي للإلحاد**)[١]: " فقد اتخذ **هتلر** من كتابات (**نيتشه**) نـموذجه الفلسفي، وشنَّ أكثر الحروب دموية وتدميراً في التاريخ التي لم يكن لها أيِّ مبرر، وقد غيرت شكل العالم علىٰ نحو يستحيل علاجه، **ولا يـمكن إنكار تأثير نيتشه علىٰ هتلر !** " .

وهتلر نفسه هو القائل: " حَرَّرتُ ألـمانيا من الأوهام الغبية والـمشينة الـمختصة بالضمير والأخلاق... وسندرب شباباً يقف العالم أمامهم مرتعداً ! أريد شباباً قادرين علىٰ العنف، مغرورين ومستبدين، قساة لا يعرفون اللين " [٢]

ولـما قامت الحرب العالمية الثانية بين دول الـمحور ودول الحلفاء، وكان جزء كبير منها يمس دولاً وشعوباً إسلامية؛ سعىٰ كل طرف إلىٰ كسب مواقف سياسية وعسكرية فيها بتشويه الطرف الآخر برميه بالإلحاد وهدم معالم الدين وتفجير الـمساجد وقتل المسلمين ، وعمدت كلٌّ من إذاعتي برلين ولندن علىٰ بثِّ تلاوات قرآنية لـمشاهير القراء، ونشر منشورات دينية فيها آيات وأحاديث استغلت كدعاية تحذيرية للشعوب الإسلامية من إلحاد الطرف الآخر وكراهية الدين[٣].

ولا نعدو الصواب إذا قلنا: إن أكثر الشرور والـمظالم انتشاراً وأوسعها ميداناً بحيث شملت قارات الأرض الخمس كانت تقف وراءها مناهج إلحادية تشكلت

---

(١) [لرافي زكراياس (ص ٦٩) ـ ترجمة ماريانا كتكوت ـ ط/ رؤية للطباعة بمصر].

(٢) [الـمصدر السابق : (ص ٧٠)].

(٣) انظر [(**في سبيل الله والفُوْهُرَر النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية** ــ ص ١١٩ وما بعدها) ـ ديفيد معتدل ـ نقله إلىٰ العربية محمد صلاح علي ـ ط/ مدارات للأبحاث والنشر بـمصر].

كردة فعل من ظلم الكنيسة وبابواتها ورهابينها، وإيغالها في ميتافيزيقا عقيمة، واستمرت في تصاعد حتىٰ شمل مناحي الحياة منتهكـًا نواميس الكون والحياة، ومُدَنِّسـًا قدسيات الدين والأخلاق.

ولا أغشم حينئذ ولا أرهب من فكر عارٍ من العدل والإحسان، مُغتَسِلٍ بالرجس، مُتَدَثِّرٍ بعد ذلك بالفحشاء والمنكر !!

وإذا كان الإرهاب تطرفـًا وجريمة؛ فالإلحاد كذلك، كلاهما تطرف وجريمة، وكلاهما خطر علىٰ الضرورات الخمس التي بها قوام الدين والدنيا. فمَنْ يدعم الإلحاد لا يقل خطراً عمَّنْ يدعم الإرهاب ! فلماذا تهتم الدول والحكومات بمحاربة الإرهاب ولا تهتم بمحاربة الإلحاد؟! وأكيد أن بعض الدول والحكومات أدركت مؤخراً أن رعاة الإلحاد هم أنفسهم رعاة الإرهاب.

فما الذي وَرَّثَهُ الإلحاد بمبادئه ونظرياته في كوكبنا غير الفوضىٰ، والفواحش، والفساد، والقتل، والحروب، وتخريب الكون، وتدمير الحياة، والتمرد، والقلق، والاضطراب، والشك، واليأس، والقنوط، والجنون، والانتحار؟

أي رسالة خير وسعادة حملها هؤلاء إلىٰ البشرية؟

حقـًا؛ إنه كما أن للنعيم رسلاً؛ كذلك للجحيم رسلاً .




الوقفة (٦)
كيف نعالج الإلحاد ونواجهه؟

وأمام هذا كله فلن تجد البشرية الحياة الطيبة، والسعادة المطلوبة، وسكون النفس، وطمأنينة القلب إلا في دين الإسلام، الذي يُلَبِّي احتياجاتها الروحية والمادية في توازن كامل، وانسجام تام، بحيث لا يفصل بين الفكر والروح من جهة؛ والمادة والواقع من جهة أخرىٰ، بل يعطي الدين حقه، والدنيا حقها، قال الله الخالق الحكيم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ﴾ (الشورى:١٧)، قال **الإمام ابن الوزير اليماني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أنزل الكتاب لتعريف الحق الديني، والميزان لتعريف الحق الدنيوي " (١).

وظاهرة الإلحاد كغيرها من الظواهر المخالفة للجادة التي يسير عليها البشر كلهم لها أسباب، وتعالج كغيرها بوسائل وطرق، منها ما يختص بالأفراد الواقعين فيها، ومنها ما يقع علىٰ عاتق جهات تتوفر لديها الإمكانات العلمية والمادية للتعامل مع ظاهرة الإلحاد بما يتناسب وتأثيرها، **وهذا يُمَثِّلُهُ اتجاهان رئيسيان:**

١- اتجاه تقوم عليه حكومات المسلمين عبر رجالاتها الذين يُقَدِّرُونَ الدين وفضائله وآثاره الحسنة علىٰ الفرد والمجتمع، وهذا من أوجب واجباتها الرئيسية.

٢- واتجاه يتولىٰ مهمته أهل العلم، فهم الأقدرون علىٰ بيان الحق، وكشف زيف الإلحاد بالحجة البينة، والعلم الصحيح، والدليل القاطع، والقول الفصل، وما أحسن أن تتكاتف جهود كل من الحكومات الإسلامية والعلماء وتتناسق لتتكامل في تحقيق الدور المطلوب أمام تحديات الإلحاد وآثاره.

---

(١) [(**إيثار الحق علىٰ الخلق**) ١/ ٣٧٠ ـ مصدر سابق].

وسندمج عمليهما فيما يلي:

١- توجيه الوزارات الـمَعْنِـيَّة كـوزارة الشـؤون الإسـلامية والإرشـاد، ووزارة الإعلام، ووزارة التعليم، وكذا وزارة الشباب والرياضـة لِبَـثِّ الـبرامج التوجيهيـة النافعة والـمواد الـمفيدة التـي تغـرس الإيــمان، وتعظـم الـدين في نفـوس الناشـئة والشباب، وترسخ البناء العقدي لديهم، وترد شُبَهَ الـملحدين وظنوناتـهم الفكريـة، وما يستـتبعها من ضرر وفساد علىٰ الفرد والمجتمع والحياة، بل الوجود كله.

ويدخل في ذلك إطـلاق حمـلات التوعيـة والـدورات والـدروس التـي تتنـاول موضوع الإلحاد تاريخـًا ورموزاً وأفكاراً، وتعزز أصول الإسـلام في النـاس، وتـزرع الثقة بـدينهم عقيـدة وشـريعة، ونشـرها في جميـع وسـائل الإعـلام الرسـمية وغيـر الرسمية، وكذا رفع التقارير القائمة علىٰ استقراء الحالـة الإلحاديـة لوضـع الـبرامج والخطط الـمناسبة لها.

٢- اعتناء الدرس الشرعي - بعد تحصيل الـمادة العلميـة - بالــمقصد الشـرعي من الحكم، وإظهار التناسق بينه وبـين مجمـوع الشـريعة بعامـة، وارتبـاط الغايـات الكبرىٰ للدين بالحياة والإله والـمصير من أجل تعزيز اليقـين، وتــرسيخ الاعتقـاد، فاللهمَّ وفِّقْ شيوخ العلم لـهذا.

٣- تشجيع الشباب علىٰ دراسة العلوم الإنسانية والتجريبية، والنبوغ فيها جمعـًا بين العلم والإيـمان، ودفعـًا لوهم التعارض بينهما والذي تَرَبَّـت عليه الأمة مـؤخراً، ولـم يكن له وجود عند أسلافنا الـماضين.

وما أحسن أن ترىٰ شابـًا متخصصـًا في الصيدلة مثلاً وداعيـًا إلىٰ الله علىٰ بصيرة.

٤- إعداد أفلام علمية خاصة، ترسخ قضية الإيمان بالله، وتتناول آيات الله في الكون والحياة مع ربط ذلك بما في القرآن والسُّنَّة للتدليل على أن لا تعارض بين العلم والدين، والعقل والنقل، واعتمادها في مراحل التعليم المختلفة، ونشرها في وسائل الإعلام، لما لها من قدرة تأثيرية على عقل الإنسان ووجدانه ووعيه، بدلاً من تلك الأفلام التي تحاول غرس الإلحاد بنسبة ما يجري إلى الطبيعة دائماً كما في بعض القنوات الغربية والعربية !

٥- إنشاء مراكز بحثية، ومؤسسات علمية، ومواقع وقنوات إلكترونية في أنحاء العالم تُعنَى بمتابعة ما يكتب في الغرب والشرق حول نقد الإلحاد، وتزييف نظريات دعاته، وترجمتها ونشرها بين الناس. وبحمد الله؛ ففي الساحة العلمية نماذج طيبة، وجهود مشكورة، والازدياد منها مع تنوعها مطلوب.

٦- التواصل مع الشباب والفتيات الذين تأثروا بموجة الإلحاد، وبيان حقيقة ما وقعوا فيه بالجواب على شبهاتهم وإشكالاتهم، ويتمثل هذا بإعداد فريق علمي متخصص يكون على دراية بعلوم الشريعة، ومعرفة بالمذاهب والفرق والأفكار والأشخاص والأقوال المنتشرة في الوسط الإلحادي خاصة، وغيره عامة، وتهيئة كل ما من شأنه تيسير القيام بعمله الواجب عليه في هذا الصدد (**منصات ومساحات للحوار والنقاش**).

٧- إحالة الملاحدة الذين ثبت إلحادهم في بلاد المسلمين إلى القضاء الشرعي، وإن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن، فَثَمَّ أحكام محددة تتعلق بالملحد: حكمه وتوبته وعلاقته بزوجته وأولاده وماله وموته ودفنه(١).

---

(١) انظر مقالة [(**فقه الإلحاد**) لمسعود صبري ـ موقع إسلام أون لاين] و[(**الإلحاد مفهومه** =

ففوضىٰ الـملاحدة لا يصح أن تقابل بفوضىٰ تُصْدِرُ الأحكام جزافًا عبر أفراد أو جهات غير رسـمية، بل مَرَدُّ ذلك إلىٰ القضاء الشرعي الرسمي، فقد يتبين للقاضي أن سبب وجود الإلحاد عند الـواقع فيه شبهات تحتاج إلىٰ كشـف وبيـان، أو أنـه أُكْـرِهَ ومُـورِسَ عليه ضغوطات قاهرة، أو أنـه يعمـل لجهـات خارجيـة يرجـو منهـا مـالاً يُـؤَثِّـلُـه أو منصبًا يُـؤَمِّـلُهُ أو لجوءاً يُوَصِّلُهُ، أو غيـر ذلـك مـن الأسـباب التي مـن خلالها سيـحكم عليه بـما يناسب.

وهذا يؤكد أن كل حالة إلحاد " يتم التعامل معهـا علـىٰ أنـها حالـة متفـردة لهـا خصائصها الـمميزة من حيث النشأة، والظروف البيئية، والأحوال النفسية " (١).

وإذا كان لا يجوز أن تقابل فوضىٰ الـملاحدة بفوضىٰ الأحكام؛ فكذلك لا يجوز أن تبقىٰ فوضىٰ الـملاحدة تفيض علىٰ الناس حتىٰ تصير الدين البديل، ويغيض مـن النفوس دين الله الأصـيل، فحفـظ الـدين والـنفس والعقـل والعـرض والــمال مـن ضرورات وجودنا، والإلحاد يُـخِـلُّ بــها، ويعرضـها كلهـا للـزوال، لــما فيـه مـن انحراف عقدي وفكري خطير، ووجوب حِفْظِهَا علـىٰ مَـنْ وَلَّاهُ الله أمـر الــمسلمين قائم، والحجة بالغة، والنصيحة واجبة، **والنبـي** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول: «مَـنِ اسْـتُرْعِيَ

= **وأسبابه وعلاجه وسبل مواجهته ومخاطره في الفقه الإسلامي**) د. سعدية فتح الله دسوقي الجزار ـ بحث علىٰ الشبكة ـ مجلة قطاع الشريعة والقانون كلية الشريعة والقانون بجامعـة الأزهـر ـ مـج ٨ عدد ٨ (ص ٦٨٠) وما بعدها].

(١) كما في بحث [(**الإلحاد الـمعاصر سماته وآثاره وأسبابه وعلاجها**) لسوزان بنت رفيق المشهراوي – مجلة كلية الدراسات الإسلامية بـالأزهر – مجلـد ٣٥/ عـدد ١ (ص ٩٧٤)] و[(**الإلحـاد مفهومـه وأسبابه وعلاجه وسبل مواجهته ومخاطره في الفقه الإسلامي**) ص ٦٣٩ – ٦٤٠ – مصدر سابق]

رَعِيَّةً؛ فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ؛ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ» رواه أحمد (٢٠٣١٥) والطبراني (٤٧٣) وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تعليقه على مسند الإمام أحمد (١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ومتى اهتمت الولاة بإصلاح دين الناس؛ صلح للطائفتين دينهم ودنياهم، وإلا اضطربت الأمور عليهم " (٢).

٨- سَنُّ تشريعات تُجَرِّمُ الإلحاد، وتَحُدُّ من نشره وانتشاره، وتبيح للجهات الرسمية ملاحقة دعاته ومروجيه، وغلق أي وسيلة تدعو إليه (شبكات ومنصات وغيرها)، جاء في **القرار الرابع** ضمن بيان المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الحادية والعشرين المنعقدة في المدة من (٢٤ – ٢٨/ ١/ ١٤٣٤هـ) الموافقة لـ (٨ – ١٢/ ١٢/ ٢٠١٢م) حول تنامي بوادر الإلحاد في بعض المجتمعات الإسلامية ما نصه:

" ٤- دعوة الحكومات الإسلامية إلى القيام بمسؤولياتها بالتصدي لبوادر الإلحاد، والوقوف أمام ذرائعه، ووسائل استنباته في هذه الأمة، ومنع قنواته وطرائقه ورموزه من التمكُّن من وسائل التوجيه والمخاطبة للأجيال؛ حماية للدين والمقدسات، وحفظًا لاستقرار المجتمعات المسلمة ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ **(الحج:٤١)** " (٣).

---

(١) [(**مسند الإمام أحمد بن حنبل**) ٣٣/ ٤٢٧ ت ـ شعيب الأرناؤوط وصاحبيه ـ ط/ مؤسسة الرسالة بلبنان].

(٢) [(**مجموع الفتاوى**) ٢٨/ ٣٦١].

(٣) موقع المجمع على الشبكة بالرابط : [**ttps://ar.themwl.org/node/40**].

ولا علاقة لهذه السياسة الحكيمة الحازمة بحرية الرأي، فكل حرية لها سقف محدود لا تتجاوزه، لأنه لا يوجد حرية مطلقة في أي مكان في العالم، ولا حتىٰ في أعرق الدول ديمقراطية وأكثرها ليبرالية، بل هذا مخالف للعقل والواقع، وها هما دولتا روسيا والصين تحاربان الشذوذ وتمنعانه بقوة، ولم تباليا بصراخ دعاة الحرية وتباكيهم علىٰ حقوقهم الشاذة النَّتِنَة !!

وكما يجب علىٰ كل مواطن احترام دستور بلاده وثوابته الوطنية، والمحافظة عليها، وحمايتها من أي خطر يهددها، وعلىٰ كل زائر لأيِّ بلدٍ أن يحترم قوانينها ونظامها، وإن أَخَلَّ حُوكِمَ وعُوقِبَ؛ فكذلك للإسلام نظامه ومبادئه وثوابته التي مَنْ تَعَدَّاها حوكم وعوقب بما هو منصوص عليه في شريعته.

وقد نَصَّتِ الدول العربية والإسلامية في دساتيرها علىٰ أن الإسلام مصدر تشريعاتها، ودين الإسلام له خصائصه وأحكامه التي لا يمكن تجاوزها أو الإخلال بها، فيجب عليها حفظه عقيدةً وشريعةً، **وأيُّ قيمة لحرية تنتهك دستور البلاد في أول مواده الدستورية؟**

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن آلية علاج ظاهرة الإلحاد شملت حال ما قبل التأثر بها، وهذا **مسلك الوقاية**، وحال ما بعد التأثر بها، وهو **مسلك العلاج**.

ولاحظنا أيضاً علاجها عبر العمل المؤسسي الذي تضطلع به الدول والحكومات، مضافاً إليها جهود العلماء كأفراد ومراكز علمية متخصصة في الشأن الإلحادي.

يبقىٰ؛ ما الذي يتوجب فعله لمن وقع في حمأة الإلحاد أو تأثر بشبهاته واغتَرَّ بتمويهاته من الأفراد؟ كيف يتخلص منها ويتعافىٰ من شرورها المظلمة وآثارها السوء النكداء؟

لتحقيق ذلك أمور، منها:

١- الانفتاح علىٰ تلقي العلم والمعرفة من المصادر الإيمانية التي طالما أغلق نفسه عن الاستفادة منها، ووقف ضدها بقوةٍ تَدَّافَعُ بجهل وإعراض.

٢- اكتساب مهارة الوعي والتفكير السليم الذي من خلاله يُمَيِّز بين حقائق الأشياء والحالات وتصنيفاتها، بل عليه أن يتعلم تحليل ما يشعر ويقرأ ويشاهد، ويُمَيِّز بين ما له علاقة بالعلوم الإلهية ومعارف البشر التي أنتجتها عقولهم، بحيث لا يكون صورة طبق الأصل لغيره، مقلداً لهم، مردداً ما عندهم بدون أثارة من علم، ولا نور من عقل، وهو يظن أنه من العقلانية والحرية بمكان! ويتفرع منها:

٣- القدرة علىٰ الفصل بين الشبهة الفكرية والتجربة النفسية، فكثيراً ما تتوارىٰ التجارب النفسية القاسية وراء الشبهات الفكرية، وأخاديع النفس تخلط هذا بهذا، ويتم إقناع النفس والغير بأن سبب التحول للإلحاد قراءات فلسفية، ومطالعات علمية، وجدل معرفي، واشتغال أدبي[١].

٤- الرجوع إلىٰ أهل العلم، وسؤال المتخصصين في قضايا الإيمان والإلحاد كلما جَدَّت في القلب شبهة، وثار في العقل رأي، وجال في النفس خاطر، فكلنا معرضون لهذا، وعليه أن لا ينخدع بتزيين الشيطان بإشعاره بالخوف والخجل من السؤال عنها ليصده عن معرفة الحق، وكشف ما يلتبس به من الباطل.

٥- استبدال المؤثرات السلبية بأخرىٰ إيجابية، أعني ترك بيئة الإلحاد بجميع مؤثراتها كالدخول إلىٰ مواقع الإلحاد، وقراءة كتب كهنته الملحدين، ومجالسة

---

(١) انظر [(**خطوط عريضة في التعامل مع الأسئلة الوجودية الكبرىٰ**) د. عائض بن سعد الدوسري - موقع أثارة] بتصرف.

الشكوكيين والحيارىٰ والتائهين، وصحبة اللادينيين واللاأدريين، فالمرء علىٰ دين خليله، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا» رواه ابن حبان (٥٥٥) وصححه العلامة الألباني في التعليقات الحسان (٢/ ٤٤)

مَا عَاتَبَ الحُرُّ الكَرِيْمُ كَنَفْسِهِ ... وَالمَرْءُ يُصْلِحُهُ الجَلِيسُ الصَّالِحُ

وشتان بين قلب كالسفنجة وقلب كالزجاجة، فالأول يشرب كل شيء، والثاني يميز الخبيث من الطيب.

٦- قراءة القرآن بخشوع وتدبر، ومعرفة معاني آياته، وربط ذلك بالواقع المعاش، ففيه منجاة من الفتن، وعصمة من الشُبَهِ، وهو مليء بالأجوبة الكاشفة عما في النفس، الشافية لأمراض القلب، المريحة من إرهاقات الذهن، المعيذة من كيد الشيطان ووسوسته.

٧- دعاء الله بالهداية والإيمان، ومن أحسنها: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيَّ الإِيْمَانَ وزَيِّنْهُ فِيْ قَلبِي، وَكَرِّهْ إليَّ الكُفرَ والفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ، واجْعَلْنِي مِنَ الرَّاشِدِينَ، اللهُمَّ زَيِّنَا بِزِيْنَةِ الإِيْمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ**».

فَافْزَعْ إِلَىٰ اللهِ وَاقْرعْ بَابَ رَحْمَتِهِ ... فَهْوَ الرَّجَاءُ لِمَنْ أَعْيَتْ بِهِ السُّبُلُ
وَانْظُرْ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ... فَذَاكَ قَوْلٌ صَحِيْحٌ مَالَهُ بَدَلُ

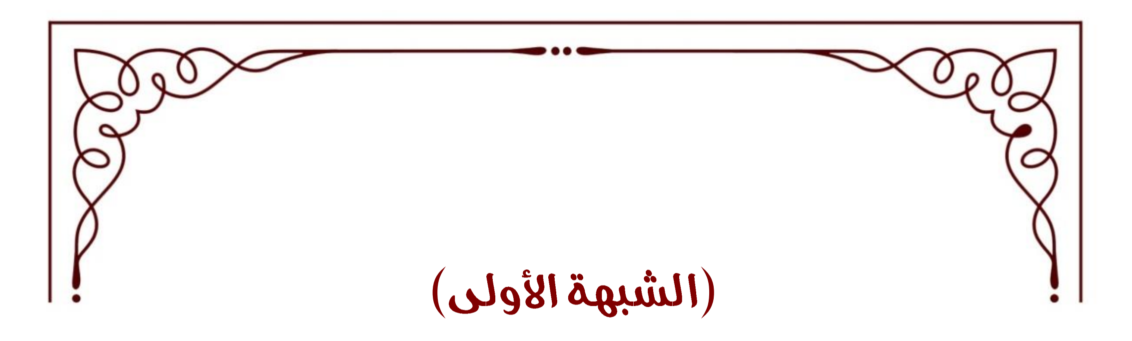
٨- السعي إلىٰ إصلاح النفس ظاهراً وباطنًا، وتزكيتها بالإيمان والعمل الصالح، ومجاهدتها علىٰ طاعة الله ومرضاته للخروج من ضلالات الإلحاد وأهله، وربنا الخالق الحكيم يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٦٩﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وبالله التوفيق، لا رَبَّ سواه.


الوقفة (٧)
شبهتان والجواب عليهما

دين الإلحاد العدمي قائم علىٰ شبهات باطلة تخالف العقـل والفطـرة، وتصـطدم مع العلم والتجربة، ولا يزال أهله يبثون بين الفينة والأخرىٰ الشبهات والتشكيكات، ويطرحون أسئلة مفتوحة لا حدود لها، ولا تستثني بابـًا، ولا تقف عند حدٍّ، استرسالاً مع خيالاتـهم اللامعقولة، وفَرَضِيَّاتِـهِم الـمعلولة.

ومن أكثر الشبهات التي تتكرر علىٰ ألسنة الـــملحدين؛ شـبهتان يظــنُّون أنـــهما خطيرتان، ولأهل الإيـمان دامغتان، قد راجتا في الشرق والغرب، سـيعرض البحـث صورتـيهما، والجواب عليهما بـما يبين أنـهما داحضتان مأفوكتان.





(الشبهة الأولى)

قالوا: ما لا يُرَى لا وجود له، والله لا يُرَى، إذاً الله غير موجود !!!

سبحان الله !! إنه لمن المؤسف أن يُجادَلَ في أيقن اليقينيات، وأعرف المعارف، ويصير لهذا الجدل أنصار وأشياع، فما أصبر الله علىٰ الملحدين !! فالفطرة الإنسانية السليمة تشهد بوجود الله ضرورة، ولا يستقيم ببداهة العقول الخوض في إثبات وجود الله ونفيه، **لأن برهان الوجود لا يحتاج إلىٰ وجود برهان، لأن الوجود برهانه**، مع أن القول بنفي وجود الله لا يكاد يعرف في البشر إلا في شرذمة قليلة منهم، قال عنهم **الإمام أبو الفتح الشهرستاني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " أما تعطيل العالَمِ عن الصانع العالِـمِ القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية " (١).

وإن شَغْلَ العقل بالكلام في إثبات وجود الله ومناقشة مُعَطِّلِيهِ من الوجود لهو استهانة به، ولا يوجد مَن عنده بقية عقل يُبدِئ ويُعِيد في بحث هذا الأمر، ولكن عندما فَقَدَت تلك النفوس عقولها وجب استنقاذها وردُّها لتنعم بنعمة العقل، وتعود إلىٰ وصف الإنسانية الذي وصفها الله به.

---

(١) [(**نهاية الإقدام في علم الكلام**) ص ١١٨ - حرره وصححه ألفريد جيوم - ط/ مكتبة الثقافة الدينية بمصر].

أما هذه الشبهة فالجواب عليها أن نقول:

نحن لا نسلِّم بالنتيجة ولا بمقدمتها، فالله جَلَّجَلَالُهُ عندنا يُرىٰ كمبدأ من حيث الأصل، ولكن ليس في الدنيا بل في الآخرة، وعالم الآخرة ليس كعالم الدنيا.

ثم هذا الزعم الذي زعمتُمُوه دعوىٰ لا تستند إلىٰ دليل علمي، لأنه ارتيادٌ لغيبٍ لا مجال للعلم المادي لإثباته، ولا يخضع للتجارب والقياس، ولا يُوصِلُ إلىٰ النتيجة التي أردتموها، **فليس كل ما لا يرىٰ غير موجود**، فالأشياء التي لا نراها نحن وأنتم؛ ونؤمن بوجودها نحن وأنتم أيضًا كثيرة جداً، لا حصر لها، ولهذا؛ فنحن نطالبكم بإثبات دعواكم هذه: (ما لا يرىٰ لا وجود له) ما هو برهانكم عليها؟ : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ **(النمل:٦٤)**

أما نحن فنقول: خذوا **الجاذبية** مثلاً؛ حقيقة من الحقائق العلمية الطبيعية لدىٰ العلماء الماديين، وقانونها أحد أهم ثوابت الفيزياء، ومع ذلك فهي لا تُرىٰ قطعًا، وليست بشيء مادي محسوس يستطاع التعبير عنه كما في المحسوسات والمرئيات، وهي من جنس **(ما يُعرَفُ ولا يُوصَفُ)**، وفي حيرة مطبقة علىٰ جميع العلماء حول لغزها يقول **إدوارد هيوي**: " إن قانون الجاذبية من أهم قوانين الطبيعة، رغم أن الجاذبية نفسها ما زالت لغزاً عميقًا مجهولاً " (١)، فهي - أي الجاذبية - شاهد علىٰ انتقاض دعواكم وبطلان نتيجتها، لأنكم تقرون بها وهي غيب لا يُرىٰ، ولله المثل الأعلىٰ؛ فكيف تنكرون وجود الله الذي وجوده أعظم وجود لمجرد كونه

---

(١) [(**كيف تدور عجلة الحياة ؟**) ص ١١٧ ـ بواسطة (**الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية**) د. يحيىٰ هاشم حسن فرغل (ص ٨٧) ط/ دار الآفاق العربية بمصر].

خارجـاً عـن نطـاق الإدراك الحسـي، ولا تستطيـع الأجهـزة المتطـورة إدراكـه ومشاهدته؟! (١).

وقولوا مثل ذلك في **الكهرباء** التي تسري في الأسلاك لِتُشَغِّلَ السُّرُجَ والمضخات والـمحطات وجميع الأجهزة الـمتعلقة بـها، فهي شيء لا يرىٰ، ولا يـمكن جعلها قابلة للتصور في شكل مادي، والبشر مطبقون علىٰ وجودها لـما يرون من أثرها.

وكذا ما يسمىٰ **بالمجـال الكهرومغناطيسـي، والـذَّرَّةِ ومكوناتـهـا مـن النـواة والنيوترونات والبروتونات والإلكترونات وغيرها**؛ أجمع العلماء اليوم علىٰ وجودها، بـما فيهم علماء ملحدون متخصصون، ويستحيل علىٰ العلـم تصـويرها، لأن هـذا شيء يفوق علم البشر وقدراتـهم، فَـقُطْـرُ الذَّرَّةِ - كما يقولون - يبلغ واحداً بالمليون من الـمليمتر، ولا يـمكن للإنسان أن يتصور مثل هذا الصغر الـمتناهي في خياله(٢).

قال جيمس كولـمان: " إننا لا نستطيع رؤية الـذرة حتىٰ لـو استخدمنا أقـوىٰ ما نملك من الـمجاهر، وعلاوة علىٰ ذلك؛ فـإن سـرعة الإلكـترون في مـداره حـول النواة تبلغ حوالي (١/ ١٠٠) من سرعة الضوء، وهي سرعة لا تُـمَكِّنُنَا مـن رؤيتـه بأيـة طريقة " (٣)، وإذاً؛ فهي رؤيا في ضمير العلماء ووجدانـهم، آمنوا بـها من آثارها.

---

(١) وانظر [(**صراع مع الـملاحدة حتىٰ العظم**) لعبد الرحمن حسن حبنكة الـميداني (ص ٩٠) ط/ دار القـلم بسوريا].

(٢) انظر [(**الروعة في كل مكان**) لهارون يحيىٰ (ص ١٠٥) ـ ترجمة مصطفىٰ الستيتي].

(٣) [(**النسبية في متناول الجميع**) ص ٧٥ ـ بواسطة (الفكر الـمعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية ص ٨٦ ـ مصدر سابق].

وعن طريق الاستنباط حكم العلماء علىٰ أن باطن الأرض حار بسبب ما تقذفه البراكين عند ثورانها من حِمَمٍ ومقذوفات بركانية وما يتولد بعدها من أنهار بركانية شديدة الحرارة، مع أنهم لم يعاينوا باطنها الشديد الحرارة وهو يدفع الصخور والمعادن المشتعلة إلىٰ أعلىٰ !!

هذه الأمثلة وما شابهها داخلة في الغيب الذي لا يُرَىٰ، لأن الإدراك البشري لا يحيط به، وهو علم غيبي معترف به لا يجادل في وجوده أحد يحس أو يشعر، ويسمىٰ بـ (**الموجود المغَيَّب**) كالروح، ويقابله (**المعدوم الغائب**) **كوحش السباغيتي (المعكرونة) الطائر إله ديانة الباستافارية الجديدة المخترعة حديثًا عام (٢٠٠٥م)** !!! فالأول حقيقة غير منظورة، والثاني خرافة غير مقبولة [١].

وكل هذا يؤكد بما لا مجال للشك فيه – فضلاً عن الإنكار – أن التجربة الحسية ليست هي المعيار الوحيد للوجود، وأن طريق المعرفة لا ينحصر فيها.

وحينئذٍ؛ فهل سيعادي الإلحادُ هذا العلمَ المغَيَّبَ كما عادىٰ الله عَزَّوَجَلَّ أم سيتناقض؟ أم سيقِرُّ ويُعِيدُ للإنسان فطرته الأولىٰ؟

ولهذا؛ فالعلم (**الحقيقة**) كما هو في الواقع لا يجتمع مع الإلحاد (**الخرافة**) أبداً، قال عالم الأحياء والأنثروبولوجيا البريطاني **توماس هنري هُكسلي**: " إن الإلحاد علىٰ الأسس العلمية غير قابل للتَّحَمُّل " [٢].

---

(١) وانظر [(**لَن تُلحِدَ**) ص ٢٠٩ ـ مصدر سابق].

(٢) كما في [(**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين**) لمصطفىٰ صبري (٢/ ٢٧٧) ط/ دار إحياء التراث العربي بلبنان].

وإذا كان العقل البشري عاجزاً عن تفسير كثير من الظواهر النفسية والطبيعية وكُنْهِ وجودها فهو أعجز عن أن يحيط بالله علماً، وإدراكاً لِكُنْهِ ذاته، وفي هذا يقول **روجر باكون** أحد الفلاسفة الكبار: " إنه لا يوجد عالم من علماء الطبيعة يستطيع أن يعرف كل شيء عن حقيقة ذبابة واحدة وخواصها، فضلاً عن أن يعرف كنه ذات الله " (١).

ولهذا لم نجد القرآن " يحدثنا عن كنه ذاته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لأنها أكبر وأوسع من عقل الإنسان، ولأن العاقل إنما يبحث فيما يعود عليه بالنفع، وكذلك في مسألة البحث عن جوهر وحقيقة الروح، وجانب معرفة الغيب واستطلاع المستقبل... وفيما عدا ذلك أفسح المجال والاستدلال وفتح الطريق، وجعل له الكون كله مسرحاً للتأمل والتقصي والبحث، وتلك هي الواقعية البناءة التي تسهم في إسعاد الإنسان، لأنه لم يبتعد عن عالمه، ولم يخرج عن محيطه " (٢)، والله الخالق الحكيم يقول عن نفسه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ **(الشورى:١١)** فكيف يُقاسُ علىٰ غيره ؟! قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ معللاً: " لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال المضروبة والمقاييس، وذلك يكون في الأمور المتشابهة وهي المخلوقات، وأما الخالق جَلَّ جَلَالُهُ سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فليس له شبيه ولا نظير، فالتفكر الذي مبناه علىٰ القياس ممتنع في حقه، وإنما هو معلوم بالفطرة " (٣).

---

(١) كما في [(**المفصل في الرد علىٰ شبهات أعداء الإسلام**) لعلي بن نايف الشحود (٢/ ١٦٦)].

(٢) من [(**الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق**) د. صلاح محمود العادلي ـ حوليات كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر ـ عدد ٢٦ ج ٣ (ص ٦١٥ ـ ٦١٦)].

(٣) [(**مجموع الفتاوىٰ**) ٤/ ٣٩ – ٤٠].

ومن هنا جاءت القاعدة الإسلامية في تصور الذات الإلهية: " **كل ما خطر ببالك؛ فالله بخلاف ذلك** "، فمهما بلغت علوم البشر فلن يحيطوا بالله علماً، وقد قطع الله العليم المتعال عنهم فقال: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ **(طه:١١٠)** وما ذاك إلا لأن العقل البشري محدود في إمكانياته ومجالاته، قال **الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " إن للعقل حَدّاً ينتهي إليه، كما أن للبصر حَدّاً ينتهي إليه "[(١)].

ماذا لو قال أحدهم لملحد: أين جدك الثالث ؟ وهو أقرب ما يمكن ذكره من أجداده الذين لم يرهم، هل رأيته ؟ هل تؤمن بوجوده ؟ أم ستمارس الجنون كعادتك فتنكره لأنك لم تَرَهُ ؟ هل تَعِي ماذا يعني إنكارك لوجوده ؟

وماذا لو قلنا للملحد: لِمَ تؤمن بنظرية التطور حتىٰ جعلتها ديناً وعقيدة – شأن كل غائب ماضٍ أو مستقبلٍ – وأنت وكل تَطَوُّرِيٍّ؛ بل وداروين نفسه لم يَرَ بعينه أيَّ نوع يتطور إلىٰ نوع آخر حقيقي؟ لِمَ تمارسون معها **فلسفة التسليم** لِما جاء فيها، ولا تعرضونها علىٰ قاعدتكم المطلقة: **(لا يوجد حقيقة مطلقة)** ؟! لِمَ كان التسليم للنص الشرعي الديني معيباً ويتنافىٰ مع العلم؟! وأما **نظرية داروين** والفلسفات والمذاهب الإلحادية من جدلية مادية وبراجماتية ووضعية ووجودية فكلها حقائق مطلقة؟! وكانت فلسفة التسليم لما جاءت به حقاً لا يقبل النسبية ولا الشكية؟!

ولو سألنا الملحد: ألست تفرح؟ ألست تحزن؟ ألست تحب؟ ألست تبغض؟ سيقول في كلها: بلىٰ... حينها نقول له: فَسِّرْ لنا أوصاف هذه المشاعر؛ من أَيِّ شيء

---

(١) كما في [**(آداب الشافعي ومناقبه)** للإمام ابن أبي حاتم الرازي ـ ت : عبد الغني عبد الخالق (ص ٢٠٧) ط/ دار الكتب العلمية بلبنان].

هِيَ؟ ومِـمَّ تتكون؟ وأين توجد؟ لن يجد لذلك جوابًا ولو عاش آلاف السنين، وحاز علوم الأولين والآخرين.

وإن أعرابيًا يقود بعيره في صحراء جرداء قاحلة، حيث لا معامل ولا مناظير ولا قوانين؛ أعقل وأعلم من علماء الإلحاد ومفكريه كلهم ! فقد سُئِلَ: ما الدليل علىٰ وجود الرب تعالىٰ؟ فأجاب: يا سبحان الله ! إن البعرة لتدل علىٰ البعير، وإن أثر الأقدام لتدل علىٰ المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ ألا يدل ذلك علىٰ وجود اللطيف الخبير؟![1].

وهذه طريقة برهانية استدلالية ترغم العقل علىٰ الإيمان، فالعين نظرت إلىٰ كل ذلك لكن ليس من عملها أن **الأثر يدل علىٰ المؤثر**، بل هذا من عمل العقل، هذه الطريقة عرفها هذا الأعرابي الأُمِّيُّ وجهلها أو تجاهلها أولئك !! فمن أحقُّ بالعلم والعقل أيها الناس؟!

ولله درُّ القائل:

رَأَيْتُـكَ رَبِّـيَ فِـي كُـلِّ شَـيءٍ ... فَـزَادَ اليَقِـيْنُ بِقَلْـبٍ رَآكَ
فَفِي الزَّرْعِ فِي الضَّرْعِ فِي الإِنْسِ بَانَتْ ... بَـدَائِعُ صُـنْعِكَ بَعْـضُ نَـدَاكَ
بَسَـطتَّ لَنَـا الأَرْضَ أرسـيتَ فِيْهـا ... جِبَـالاً وأَنـتَ رَفَعْـتَ السِّـمَاكَ
لَـكَ الحَمـدُ فِـي كُـلِّ طَلْعَـةِ صُـبْحٍ ... وَإِنْ نَـوَّرَ البَـدْرُ لِـي فِـي سَـمَاكَ
وَبَـينَ يَـدَيَّ كِتَابُـكَ أَتْلُـو ... وَتَنْهَـلُ رُوحِـي فَـيضَ بَهَـاكَ
أَنَـا مُسـلِمٌ قَـدْ شَـرِبْتُ الأَمَـانَ ... وَذُقْـتُ النَّعِـيمَ الـذِي فِـي رُبَـاكَ
وَعَـدْلُكَ يَـا رَبِّ فَـاقَ الوُجُـودَ ... فَـلَا تَحْـرِمَنَّ كُـلَّ عَبْـدٍ رَجَـاكَ

---

(١) [(تفسير ابن كثير) ١/ ١٩٧ ت ـ سامي السلامة ـ ط/ دار طيبة بالسعودية].

وبعد هذا كله:

فَيَا عَجَبًا كَيفَ يُعْصَىٰ الإِلَهُ ... أَمْ كَيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ

وهذا هو التكامل في وضوحه بين الوجود ومُوجِدِهِ سبحانه:

قَدْ أَفْلَحَ المَاضُونَ فِي رَكْبِ الهُدَىٰ ... وَتَحَرَّرُوا مِنْ قَبْضَةِ الشَّيْطَانِ
يَتَفَكَّرُونَ بِآيِ خَالِقِنَا الَّتِي ... نَطَقَتْ وَتَدْعُونَا إِلَىٰ الإِيمَانِ

ولا تبعد فلسفة **نيوتن** العالم الفيزيائي الشهير عن جواب ذاك الأعرابي، فعندما سئل عن وجود الخالق أجاب: " من الواضح الجلي أنه لا يوجد سبب طبيعي يمكن أن يُعزىٰ إليه توجيه جميع الكواكب وتوابعها للدوران في وجهة واحدة وعلىٰ مستوىٰ واحد دون أن يحدث فيها أي تغيير يذكر ! فمجرد النظر لهذا التدبير يُشْعِرُ بوجوب قدرة إلهية تُحْدِثُهُ" (١).

والفطرة تقود الإنسان إلىٰ ضرورة: **(ما من حادث إلا وله مُحدِث)**، وفي النفس تعلق بالخالق لا انفصام عنه، كيف وهو الرب المنعم الرازق المدبر الحي القيوم الذي به حياة وقيام الوجود كله؟ ها هو يخاطبنا نحن البشر مذكراً لنا بنعمه علينا محركًا المدارك العقلية والمشاعر الوجدانية فينا لننظر في آياته السماوية والأرضية الدالة عليه سبحانه فيقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١

---

(١) بواسطة [**(الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه)** لعطية صقر (ص ٢٠١) ط/ مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمصر].

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ
لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ
رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ
هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (النحل: ١٠-١٧)

ويقول: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم
مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ
﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ
أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (الروم: ٢٠-٢٦)

فأين يجد الإنسان وهو يقرأ هذه الآيات البينات وأمثالها كلاماً مثل هذا يخاطب العقل والوجدان في آنٍ واحدٍ؟! آيات تستحثه على أن يُعْمِلُ جميع انفعالاته (يَتَفَكَّرُونَ - يَعْقِلُونَ - يَذَّكَّرُونَ - يَسْمَعُونَ - تَشْكُرُونَ) كل هذا يكشف لنا دور العقل الصحيح، وهو أنه وسيلة لاكتشاف الحقيقة، وليس مصدراً للحقيقة.

ها هو الكون بعلويِّه وسُفليِّه ناطق بصنع الله وإتقانه، ورحمته وقدرته، وإبداعه وعظمته؛ وهاتيك النعم تشير إلىٰ مقومات وجود الإنسان وتسخيرها له من الرب الرحيم، وهذا أنجع ما يكون في القلوب، وأشد تأثيراً علىٰ الوجدان.

وتعطيل الحواس مع وجود الدلائل الواضحة والشواهد اللائحة يهبط بالإنسان إلىٰ مرتبة الحيوان، بل الحيوان يكون حينها أفضل رتبة منه، قال الله الخالق الحكيم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (الأعراف: ١٧٩).

وإذا كان الإيمان يكون بالفطرة؛ فمنه ما يكون بالتجربة، فَلْيُجَرِّبْ هذا مَنْ فَقَدَ الإيمان واستهوته الشياطين، ولعبت به الأهواء !! كل ما عليه هو أن يحيي ما أمات من عقله وبصيرته، ثم لْيَضْبِطْ منظاره، وسيرىٰ الحياة والوجود بوضوح [١].

سبحان الله ! كم من ملحد تجده عالـماً في الطب أو في الفلك أو في طبقات الأرض بحرها وبرها، يدقق في علمه، يحلل ويستنتج ويقرر، وفي خِضَمِّ انهماكه في علمه يحجب عقله بالصنعة عن الصانع، وبالكواكب عن مكوكبها، وبالأرض عن داحيها، وبضبط الخلق وإتقانه وإبداعه عن بديع السماوات والأرض، ولو أعطىٰ العلم حقه لكان من أقوىٰ الناس إيماناً لأنه اطلع من حكمة الله وباهر آياته، وعجائب صَنعته الدَّالَّة عليه، وعلىٰ علمه وقدرته وحكمته علىٰ ما خفي علىٰ

---

(١) مقال [(لماذا الإلحاد.. والإيمان حق ؟!) لخالد محمد خالد ـ مجلة الدوحة (عدد١٠/ ص ٣٣ – ٣٥)] بتصرف.

غيـره، ولكــن ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ (الحج: ٤٦).

ولما ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ جواب الرسل للأمم التي شككت في وجود الله قائلين لهم: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ (إبراهيم: ١٠) قال: " أفي وجوده شك؟! فإن الفِطَرَ شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفِطَرِ السليمة، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده، ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع، وهو الله لا إله إلا هو، خالق كل شيء وإلهه ومليكه "(١).

يا ملاحدة العالم: " إن وجود الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أظهر للعقول والفِطَر من ظهور الشمس وضياء النهار، ومَنْ لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهم عقله وفطرته " (٢).

ثم العلم بالأشياء ووجودها؛ هل طريق الوصول إليه لا يكون إلا بالمشاهدة والحس؟ بمعنى: هل قضى العلم التجريبي على كل طريق للمعرفة سواه؟

(١) [(تفسير ابن كثير) ٤/ ٤٨٢ – مصدر سابق].

(٢) من خطبة للشيخ د. صالح بن حميد حول **حقيقة الإلحاد وشؤمه** من منبر المسجد الحرام بتاريخ ٢٣ صفر ١٤٤٥هـ .

إنه لمن السطحية القول بأنه: (**لا سبيل لمعرفة أي شيء إلا بالتجربة والمشاهدة**) لأن هذه الجملة تحمل في نفسها تناقضاً ذاتياً، لأن نفس هذه الجملة يستحيل الاستدلال عليها بالتجربة، فهي مقولة تبطل نفسها .

إن العلم التجريبي سيخبرنا كيف نصنع قنبلة؟ ولكنه لن يجيبنا عن ماذا ينبغي أن نفعل بها؟(١).

ولا يستطيع أن يحدد لنا قيم الأشياء من حسن وقبح، وصواب وخطأ، وليس مجاله المشاعر والأحاسيس، ولا يدرك سببية العلاقة بين الأشياء، فهذه مجال معرفتها العقل والوجدان.

من ذا الذي يجادل في كفاية العلم التجريبي بعد " فشله في تلبية أشواق الإنسانية إلىٰ المعرفة والقيم، وأصبح كثير من المفكرين العصريين يعلنون: إنه ليس بالعلم وحده يحيا الإنسان " (٢)؟

وإنه لعجب عاجب قصر المعرفة علىٰ التجربة الحسية !!! فأين كان عقل قائل هذا الزعم؟ هل شاهد عقله وتحسسه بيده؟ لقد أدرك وجود عقله بآثاره، ولولا العقل لما أَجْدَتِ التجربة والإحساس نفعاً (٣).

---

(١) انظر مقالة : [(**هل قضىٰ العلم التجريبي علىٰ كل طريق للمعرفة سواه ؟**) - أحمد فتح الباب وآخرون - موقع إضاءات].

(٢) [(**تسونامي ومشكلة الشر والنجاة من البلاء**) مقال بقلم د. يحيىٰ هاشم حسن فرغل/ ضمن موسوعة البحوث والمقالات العلمية جمع وترتيب وتنسيق علي بن نايف الشحود].

(٣) انظر [(**موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين**) ٢/ ٣١٢ - ٣١٣ - مصدر سابق].

ومن طرائف الأجوبة في هذا المقام ما جاء في قصة يقال إنها حدثت في مدرسة ابتدائية، حيث وقف المعلم أمام الطلاب قائلاً: أترونني؟ قالوا: نعم، قال: فإذن أنا موجود! أترون اللوح؟ قالوا: نعم، قال: فاللوح إذن موجود! أترون الطاولة؟ قالوا: نعم، قال: فالطاولة إذن موجودة. قال: أترون الله؟ قالوا: لا، قال: فالله إذن غير موجود!!! فوقف أحد الطلاب الأذكياء وقال: أترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا، قال: فعقل الأستاذ إذن غير موجود (١).

ومن واجب القول هنا: التأكيد علىٰ أنه ليس صحيحاً أن يقبل المؤمن من الملحدِ منع الاستدلال بالقرآن أثناء الجدال والمناظرة، فكلام الله الحجة البالغة علىٰ الخلق أجمعين، والكاشف لحجج المبطلين؛ فيه من الأدلة العقلية التي تجدد الفطرة، وتخاطب العقل وتستحثه علىٰ النظر والاستدلال ليرىٰ ما حوله من العوالم عشرات الآيات بل مئاتها وهي تلزمه بضرورات عقلية تقوده إلىٰ الاعتراف بالخالق سبحانه، ولو أخذ الملحد – مثلاً – قول الخالق الحكيم: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ...﴾ (الأعراف:١٨٥)، وقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ۝١٩٠﴾ (آل عمران:١٩٠)، وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾

(١) [**(علم الغيب بين الوحي والعقل)** د. يحيىٰ مراد (ص ٧٣) ط/ دار الكتب العلمية بلبنان].

(يونس:٥-٦) لوجد فيها ما يتضمن الأمر بإعمال الفكر وتقليب النظر فيما فوقنا وما حولنا من العوالم، وأما في خلقنا نحن معشر بني آدم فسيجد أمامه قول الله الخالق الحكيم: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات: ٢١) **أليس عجبًا أن يكون الإنسان هو الدليل والمستدل بهذا الدليل على الله الخالق الجليل؟! أم كيف يطلب الدليل على مَنْ هو على كل شيء دليل؟! وإن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق.**

و لم يكن للبشرية وقت نزول هذه الآيات وأمثالها أول مرة من العلوم والمعارف ما لديها اليوم، فقد اتسعت معارفها، وارتقت علومها، فسبرت كثيراً من حقائق الكون والحياة والنفس، ورأت واكتشفت ما لم يوجد لدى الأولين فانطبق عليها قول الحق سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣) ليجمع لنا النظر في الأنفس والآفاق ما يُعَظِّمُ شأن خالقها ومبدعها سبحانه.

وفي هذه الآية - على وجه الخصوص - دلالتان واضحتان:

أولاهما: أن العلم الطبيعي دليل على الله، وكلما زاد العلم عند الإنسان كلما توثَّقت العلاقة بينه وبين الله جَلَّجَلَالُهُ، قال **لويس باستور** الطبيب الكيميائي الفرنسي الشهير: " الإيمان لا يمنع أيَّ ارتقاء كان، لأن كل تَرَقٍّ يبين ويسجل الاتساق البادي في مخلوقات الله، **ولو كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم؛ لكان إيماني بالله أشد وأعمق مما هو عليه الآن** " [١].

---

(١) كما في [(**الطب محراب للإيمان**) للطبيب خالص جلبي كنجو (١/ ٢٥٦ - ٢٥٧) ط/ مؤسسة الرسالة بلبنان].

الثانية: أن الله أنجز وعده بـإراءة البشر آياته الكونية والبشرية الدالـة علـىٰ خلقـه وربوبيتـه لهـا، واسـتحقاقه للعبـادة وحـده، ليتبـين لهـم أن مـا جـاء بـه **رسـول الله** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ربه هو الحق لا ريب فيه، قـال **الـدكتور مـحمد حسـين الـذهبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " كلما تقدم العلم خطوة كان الدين عندها، وكلما كشف العلم عن سر مـن أسرار الكون؛ كلما برزت حقيقة الألوهية الـمبدعة جلية واضـحة، وازداد العقـلاء الـمتدينون إيـمانـًا فوق إيـمانـهم، بل وكثيراً ما رجع الـمفتونون بالعلم والـمادة عن فتونـهم، فآمنوا بأن للكون مبدعـًا يجب أن تتعلق به القلوب، وتذل له الجباه " (١).

أليس الكون بـما فيه من آيات وبراهين وقوانين هو الكُوَّةَ التي نُطِلُّ مـن خلالهـا علىٰ معجزات الخالق وقدرته ثم الدينونة بألوهيته وعبادته؟

إن عقول البشر اليوم تجاه هذه الآيات وأمثالها وما تقرره:

١- إما عقول مفتوحة، تبحث وتعلل وتقارن وتستنتج، فيزيدها ما تقـرره إيـمانـًا وتعريفـًا بالإله الحق الذي لا إله غيره زيادة علىٰ إيـمانـها الفطري ومعرفتها الفطرية، فتشهد بذلك " وجود الله، وجلال الله، وتدبير الله، وسلطان الله، وحكمـة الله، وعلـم الله " (٢) لتدين له بالعبادة وحده.

٢- وإما عقول مغلقة قد عطلت أجهزة استقبالها بالإلحاد الذي لا يرضىٰ صـاحبه عن الله أصلاً، وقد تـهيأ له من العلوم ووسائلها ما لـم يتهيـأ لغيـره، ورأىٰ واكتشـف

---

(١) [(**مجلة البحوث الإسلامية**) ١/ ٦٣].

(٢) كما في [(**في ظلال القرآن**) لسيد قطب (٣/ ١٨٢٢) - ط/ دار الشروق بـمصر].

وانظر للاستزادة [(**القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال الـمفسرين - فصـل : سـلطان العقـل والآيات الكونية في القرآن**) (ص ٢٧٥ وما بعدها) لـمحمد الصادق عرجون ط/ دار القلم بسوريا].

ما حوله من مدهشات العقول ودلائل المنطق ولكن لم تؤثر فيه، بل ازداد بها بُعداً وانحرافًا، فالأمر أمر عقول تَعقِل لا أمر علوم تُعلَم، وصدق الله الخالق الحكيم في قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ (النمل: ١٤)

كل هذا يوضح بجلاء أن قضية وجود الله لا يُجادَلُ فيها أصلاً، ولا يوجد في عقل عاقل ما يستحق الجدل حولها، وأن خلاف الناس في الله هو خلاف إيمان وكفر، لا خلاف وجود وعدم.

وقد اهتدىٰ بالقرآن من الكفار والملاحدة خلق لا يحصيهم إلا الله ولا زالوا، وفيه إجابات علىٰ كثير من أسئلتهم، والرد علىٰ شبهاتهم، كما قال أحد الملحدين العرب بعد ما تاب من الإلحاد: " وجدت في القرآن الإجابة علىٰ جميع تساؤلاتي ". سبحان الله ! أوليس الله الحكيم العليم قال عن قرآنه: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ (يوسف: ١١١) ففيه تفصيل كل شيء أساسي يحتاجه الإنسان لدنياه وأخراه.

وللبروفيسور الفيلسوف **جيفري لانج** أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية كلام مؤثر عن هداية القرآن له – وقد كان ملحداً –، ذكره بعد إسلامه في كتابه (**ضياع ديني – صرخة المسلمين في الغرب**) (١) تحت عنوان: (**هل أنت تتحدَّثُ إلَيَّ ؟**) بعد نقله الآية القرآنية التي افتتح الله عَزَّوَجَلَّ بها سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ (البقرة: ٢) قال علىٰ إثرها: " أحسست برعشة

(١) [(ص ٣٧) ترجمة إبراهيم يحيىٰ الشهابي ـ ط/ دار الفكر بسوريا].

تنتابني عندما قرأت هذه الآية، أخذت أفكر في نفسي: هل أنتَ تخاطبني؟!... تَوَلَّدَ لديَّ شعور غريب بأن القرآن كان يخاطبني فعلاً!! ".

وتابع (١) واصفًا كيف رَتَّبَ الله آيات القرآن وأنه تعالىٰ: " يعلم أنها ستُثِيرُ أسئلة وردود فعل معينة لدىٰ القارئ، ومن ثَمَّ يجيب علىٰ ردود فعله المتوقعة سلفًا في مقاطع تالية. إن مقدرة القرآن هذه في إشغال القارئ بحديث ذهني وروحي – أو كما قال **فريدريك دِنِي** Fredrick Denny :" قدرته علىٰ قراءة القارئ " – تمنحه طاقة نفسية هائلة " .

وما ذكره عن نفسه يشعر به الكثير مِمَّن يَعُدُّون أنفسهم أعداءً للقرآن، ويأبون سماعه أشد الإباء، وما إن يسمحوا لقلوبهم بسماع آياته إلا ويشعر الواحد منهم أن القرآن يخاطبه الآن دون غيره من الناس كما حصل لـ**جبير بن مطعم النوفلي** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيام كان كافراً حيث قال: سمعت **النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الطور:٣٥-٣٧) قال **جبير**: كاد قلبي أن يطير. رواه البخاري (٤٥٧٣)، وفي رواية له (٣٧٩٨) قال: سمعت **النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِالطُّوْرِ**»، **وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي**.

وكذا النصارىٰ لَمَّا سمعوا القرآن تأَثَّروا وخشعوا، وجعلت أعينهم تفيض من الدمع لِمَا عرفوا أن ما جاء به **رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق فآمنوا، قال الله

---

(١) [(ص ٣٨)].

الخالق الحكيم عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ (المائدة:٨٣)، وهذه الحقيقة لا زلنا نراها في كثير من النصارىٰ وغيرهم قِسِّيسِين ورهبانًا وأساتذة جامعات وعلماء ومفكرين ومخترعين وغيرهم حول العالم إذا سمعوا القرآن خشعوا وبكوا، وأعلنوا إسلامهم، وما إن ينطقوا بالشهادة إلا ويشعروا بأنهم وُلِدُوا من جديد . وفوراً؛ ينطلقون دعاة للإسلام مفاخرين به الأديان كلها.

بل ها هم الجن لـمَّا سمعوا القرآن سماع إنصات رجعوا إلىٰ قومهم دعاة إلىٰ الإيمان، قال الله الخالق الحكيم عَزَّوَجَلَّ عنهم: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢﴾ (الجن:١-٢)، وقال في سياق سورة (الأحقاف:٢٩-٣١): ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ٣١﴾ لقد كانت جلسة استماع واحدة، ولكنها كانت كفيلة بإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، وتغيير ماضيهم كله.

إنه القرآن وليس غيره، ولا شيء مثله يهز القلوب، وتخشع لعظمته النفوس، ويثير المشاعر والوجدان، ويُحدِثُ من التحول والتغير فيها ما لا يكون لغيره. أفيوجد أصلب وأجمد من الجبال الصُّمِّ الصِّلاب التي إذا سمعت القرآن اتَّعَظَت وخشعت وتصدَّعَت من خشية الله: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ (الحشر:٢١)؟!

أَنْ تَخرُجَ مِنْ ضِيقِ الظَّلْمَاءِ إِلَى النُّورْ
أَنْ تُولَدَ ثَانِيَةً وَالمَاضِي مَغْفُورْ
لَحْظَةَ أَنْ تَشْعُرَ بِالله
فِي قَلْبِكَ يَقْذِفُ بِهُدَاه
هَذَا مَا لا يُدْرِكُهُ وَصْفٌ وَشُعُورْ

يَا الله... يَا الله

إِنِّي نَادَيْتُكَ وَسَعَيْتْ
إِنِّي اسْتَهْدَيْتُكَ فَهَدَيْتَ
بِالقُرْآنِ أَنَرْتَ طَرِيقِي
كُنْتُ أَسِيرَ الحَيْرَةِ أَحْمِلُ قَلْبَاً تَاهْ
كَانَ الصَّمْتُ مُخِيْفَاً قَبْلَ كَلامِ الله
فَإِذَا بِالرَّحْمَنِ قَرِيْبْ
يَسْأَلُهُ الحَائِرُ فَيُجِيْبْ
أَشْهَدُ أَلا رَبّ وَلا مَعْبُودَ سِوَاهْ
بِالقُرْآنِ أَنَرْتَ طَرِيْقِي

يَا الله... يَا الله

وذا ربُّنا الخالق الحكيم جَلَّجَلَالُهُ يقول عن قرآنه مخاطبًا الناس كلهم مؤمنهم وملحدهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ (يونس: ٥٧) فالقرآن شفاء لما في صدور الناس كلهم من أمراض وعلل، وشبهات وشكوك، وإشكالات وظنون، علىٰ اختلاف آرائهم، وتنوع ثقافاتهم، وتباين مناهجهم، والملحد من جملة الناس، ويستحق أن يعرف الحقيقة

ويسمعها، ولا ينبغي - لنا كمؤمنين - أن نتركه وكل هذا في صدره بدون شفاء، والشفاء بين أيدينا ويديه، ولا علينا من رفضه تناول الشفاء، فالطبيب لا يبالي برفض المريض الدواء، ولا صراخه في وجهه، بل يصبر على ذلك كله لعلمه بجهل المريض وسوء حالته النفسية، ويمضي في عمله بنشاط وأمانة، قال **الإمام ابن قيِّم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وإذا تأمَّلْتَ القرآن وتَدَبَّرتَهُ وأَعَرْتَهُ فكراً وافيًا؛ اطلعتَ فيه من أسرار المناظرات، وتقرير الحجج الصحيحة، وإبطال الشبه الفاسدة، وذكر النقض والفرق، والمعارضة والمنع على ما يشفي ويكفي لمن بصره الله، وأنعم عليه بفهم كتابه " (١)، وهذا هو عمل المنطق ونتيجته.

وقد جاءت حجج القرآن لتقرر ما يجب من الاعتقادات والأقوال والأعمال، وتبين ما يُنهَى عنه من الاعتقادات والأقوال والأعمال، آمرةً العقل بأن يقوم بعمله المطلوب، وهو البحث عن الحقيقة عن طريق النظر السليم والتمييز الصحيح أيًا كان مصدرها ودليلها الذي استندت إليه، واشتراط منطقية حجتها، مع وضوح مصطلحاتها. هذا هو المنطق، فرفض حقائق القرآن وحججه اللائحة، وبراهينه الواضحة، ومنع الاستدلال بها باسم المنطق كذب على المنطق الصحيح الذي تواطأ عليه البشر، بل هذا منطق مزيف دخيل لا علاقة له بتمييز الخطأ من الصواب.

ولا يستقيم أن يجعل الله الخالق الحكيم القرآنَ العظيمَ والعقلَ السليمَ في صدام دائم لا يلتقيان، وبينهما تَعَادٍ وخصومةٌ فلا يتفقان **(العقل مقابل القرآن أو المادة ضد الإيمان)**، هذا محال، وأسطورة يُرَوِّجها أعداء الإيمان، وما هو إلا دِعَايةٌ مُشَوِّهَةٌ

---

(١) [**(بدائع الفوائد)** ٤/ ١٣٠ - ط/ دار الكتاب العربي - لبنان].

مُنحَازَةٌ أكثر منها موضوعية، فالله الذي أنزل القرآن للهداية هو الذي خلق العقل وجعله آلة للإدراك والتمييز، فكيف يجعل أحدهما ضِدًّا للآخر، ويريد من الآخر مخالفته ومناقضته؟! قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه " (١).

ونقلت المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه** في كتابها **(العقيدة والمعرفة)** (٢) عن عالم الفيزياء الذرية الإنجليزي **أرنست روثر فورد** الملقب **بـأبي الفيزياء النووية** والحائز على جائزة نوبل قوله: " وأيضًا العالم النزيه الذي كشف بعضًا من جوانب الوجود؛ لا ينبغي أن يكون مرتابًا في الله. إنه لتفسير خاطئ في الأوساط المتخصصة أن العالم الذي يعرف عن الوجود أكثر من غيره يتوجب عليه أن يكون بلا رب !! العكس هو الصحيح تمامًا، إن عملنا يدني الله منا، إنه يصعد من إجلالنا فقط ".

وفي تنزيل الحكيم الحميد آيات كثيرة تتحدث عن تسخير الكون كله بعالَمَيْهِ العلوي والسفلي لأجل بني آدم، كقول الخالق الحكيم: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ **(لقمان:٢٠)** وفي ضمن هذا التسخير معرفة أسرار وقوانين الكون، كما أن ما يكتشفه الإنسان من علوم

---

(١) من كتابه [**(درء تعارض العقل والنقل)** ٢/ ٣٦٤ ــ ت د. محمد رشاد سالم ـ ط/ جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالسعودية].

(٢) [(ص ٢٤٣) ـ ترجمة : عمر لطفي العالم ـ ط/ دار قتيبة بلبنان].

ومعارف ويخترعه داخل في مفهوم النعم المسبوغة عليه من الله ذي الجلال والإكرام، وإن الربط بين حاجات الإنسان وتركيب الكون في هذه الآية لعجب يدعونا إلىٰ تسبيح الله والدينونة له جَلَّجَلَالُهُ. ومع كل هذا ووضوحه؛ يأبىٰ الملاحدة – وقد سَدُّوا منافذ الوعي والفهم عنهم – إلا المجادلة في الله ودلائل وجوده الدالة علىٰ ربوبيته للكون كله واستحقاقه للعبادة والتأليه، ورفض التناسب والاتفاق بين العلم والإيمان، وإياهم أراد الله الخالق الحكيم بعد قوله السابق فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ (لقمان:٢٠-٢١)، فاتفاق كل من العلم والدين أمر ضروري ولا بُدَّ، لأن مصدرهما واحد، وهو الله ذو الخلق والأمر، ولا تعارض بينهما إلا في مُخَيِّلَةِ هؤلاء وظنوناتهم التي لا خطام لها ولا زمام، بل العلم محراب من محاريب الإيمان، وكم سادت الحقل العلمي دراسات ونظريات قيل إنها حقائق علمية ثابتة وقطعية تخالف الدين؟!! ثم تَبَيَّنَ بعد تطور العلم أنها أقلُّ درجة من أن تكون حقائق، بل أكاذيب نُسِبَت إلىٰ العلم زوراً، **وما نظرية التطور عنا ببعيد !!! وصدق الله وكذب داروين.**

وحينئذ؛ فالملاحدة مطالبون في ضوء قواعد المنطق الصحيح دحض منطقيات القرآن وعقلياته وعِلمِيَّاتِهِ، فإن لم يقدروا – ولن يقدروا –؛ فلا يحق لهم إنكارها ابتداءً جملة وتفصيلاً، لأن إنكارها هدم لحجتهم، ولا جدوىٰ لها بعدئذ، قال د. رافي

زكراياس: " لا جدوىٰ من إنكار قوانين الـمنطق، ومَنْ ينكرها يهدم حجته، لأن الـمرء لا بُدَّ أن يستخدم الـمنطق إما لدعم الحجة أو لدحضها " (١).

ومَنْ رَدَّ ما تدل عليه آيات القرآن من العقليات فقد باء بخسارة الجميع، وعداوة الجميع: **الشرع والعقل**، وحينئذٍ " لـم يبقَ معه لا عقل ولا شرع " (٢) ويحكم علىٰ نفسه بخسران الدنيا والآخرة عياذاً بالله؛ لا إله إلا هو.

وإنما مَنَعَ الـملاحدة ذلك عملاً بـ **(مغالطة الـمنشأ)** (٣)، وخوفاً من صوادع الحق القرآنية الواضحة التي تُحَلِّلُ نفسياتهم، وتقرأ دواخلهم، وتكشف شبههم، وتبين زيف قيلهم وقالهم، وقد قال عَلَّامُ الغيوب عَزَّوَجَلَّ مُهَدِّداً: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُۚ ﴾ **(البقرة:٢٣٥)** وقال: ﴿ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٞ مَّا تَحْذَرُونَ ٦٤ ﴾ **(التوبة: ٦٤)**.

ولذا؛ كان من رحمة الله بعباده أنه لم يترك دعوتهم إلىٰ الهدىٰ والإيمان عبر كتابه الذي هو الذكر الحكيم، والصراط الـمستقيم، وإن كانوا مسرفين علىٰ أنفسهم بالكفر والإلحاد، معرضين بالجحود والعناد فقال الخالق الحكيم: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ٥ ﴾ **(الزخرف:٥)**، والمعنىٰ:

---

(١) [**(الوجه الحقيقي للإلحاد)** ص ١٨١ ـ مصدر سابق].

(٢) [**(درء تعارض العقل والنقل)** ٥/ ٢٨٢ ـ مصدر سابق].

(٣) بناءاً علىٰ أن المتكلم به هو الله ، وهم لا يقبلون عن الله أي شيء ، وهذا مسلك سَفْسَطَةٍ مكشوف مردود ، لأنه رفض للحجة بدون حجة ، فالحجة دائمًا مقبولة بغض النظر عن قائلها ومنشئها ، فكيف والقرآن كلام الله رب العالمين ؟

أنترك تذكيركم بسبب كونكم مسرفين، ونعرض عنكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم؟! كلا؛ بل نُنَزِّلُ عليكم الكتاب ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم فقد اهتديتم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكنتم علىٰ بينة من أمركم، ولا حجة لكم علينا.

فلا يصح أن نقبل رفض الملاحدة الاستدلال بآيات القرآن، بل يُذَكَّرُون بما ذُكِرَ فيها من الحجج العقلية والبرهانية، والظواهر الطبيعية والحسية التي جاءت لتحرك عقل الإنسان، وتستثير فكره وهو يرىٰ الوجود أمامه، ويحس بما حوله، وينظر في نفسه ، ولِيُنَبَّهُوا علىٰ ما تدل عليه من الهدىٰ والإيمان، والمُحاوِرُ أو المُنَاظِرُ الفَطِنُ يعرف كيف ومتىٰ وفي أيِّ موضع يستدل بالقرآن؟

ثم؛ أليس القرآن كتاب علم ومعرفة؟ أليس قادراً علىٰ أن يقدم إجابات شافية لكل ما يحتاجه الإنسان؟ إذن؛ **فليكن التحاور والتناظر مشروطًا من البداية علىٰ أن يكون مفتوحًا علىٰ مصادر المعرفة كلها بدون استثناء**، وإلا فالخوف من حُجَجِ القرآن هو سبب امتناع الملاحدة من الاستدلال بآياته أثناء الحِجَاجِ، وإلا ماذا نسمي الانفتاح علىٰ جميع المصادر المعرفية، والانغلاق علىٰ القرآن وحده؟ حينها تتعرىٰ دعوىٰ الموضوعية علىٰ حقيقتها، ويتكشف منهجهم الذي يسمونه نقداً علمياً عن سراب خادع.

وليكونوا ما شاؤوا؛ وليقولوا ما يريدون، فكالعادة؛ يخرج القرآن منتصراً علىٰ منتقديه دائمًا.

ولا بُدَّ من التذكير بأن بالاستدلال بالقرآن يتحقق ما ذكره الله في كتابه وهو يحاجج الملحدين والمشركين والكفار يوم القيامة بأن رسله وأتباعهم تَلَوْا عليهم

آياته وأقروا بسماعهم لها، قال الله الخالق الحكيم: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ (الأنعام: ١٣٠)، وقال عز أمره: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾ (طه: ١٢٤- ١٢٦) وقال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١﴾ (الزمر: ٧١) لقد تَمَّ إسماعهم آيات الله في الدنيا، وهاهم يعترفون بذلك وفي أنفسهم من الحسرة والندامة ما لا يوصف.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ (يونس: ١٥) وهنا نلاحظ كيف رفض المخالفون مصدرية القرآن، وطالبوا بتغييره أو تبديله، فهل أجيبوا لمطلبهم هذا؟ لا، لم يجابوا إلىٰ هذا، بل استمر **النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يتلو عليهم آيات القرآن ممتثلاً أمر ربه القائل له: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ (الفرقان: ٥٢) أي بالقرآن، لأن به البلاغ المبين، والحجة القائمة، والدليل المقنع، وأوجب عليه إسماعهم إياه شاءوا أم أبوا؟ وهل

هذا إلا ما نزل القرآن له وبُعِثَ **النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأجله؟ قال الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ **(الجمعة:٢)**.

ويحسن أن نضيف هنا قائلين: " إن الاستدلال القرآني بما يحويه في طياته من مخاطبة البشر على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم لجدير بأن يكون في صدارة المناهج على مستوى الإنسانية جمعاء في مجال الدراسات العقدية والعقلية والنفسية والاجتماعية، ومناهج البحث والنظر والرد والاستدلال:

أ- فإنه يعتمد على الوحي، **وهذا للمؤمن**.

ب- وكذلك يعتمد على العقل، **وهو القاسم المشترك بين الإنسانية جمعاء**.

ج- ويعتمد على الوجدان والقلب والعاطفة، **وهذا لمن اقتنع عقله وفكره ولكنه يحتاج إلى هدوء نفسي، وسكينة روحية، واطمئنان قلبي**.

د- ويعتمد على الحس المشاهد، **وهذا ملزم لمن هو ملازم للعناد، فلا يستطيع مع الاستدلال المادي المحسوس إلا الإذعان** " (١).

وعلى الملحد حيال آيات القرآن قبول دلالاتها العقلية، لأن أصل مذهبه - كما يقول - قائم على الاحتجاج بالعقل، وكل ما وافق العقل يجب قبوله، وإلا فما أسهل التناقض ! ويا لقبحه من العاجز !

فإما أن يقف الملحد أمام هذه الشواهد والأدلة الحسية والعقلية والفطرية - فضلاً عن الدينية - ويرجع عن قوله؛ وإما أن يخالف ذلك كله، ويَشُذَّ عن إجماع

---

(١) [**(الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق)** ص (٥٩٧ ـ ٥٩٨) مصدر سابق].

الكون من فرشه إلىٰ عرشه الـمقر بوجود الله ووحدانيته، وذلك بآثار ما خلق وأحكم وأتقن في العالم، وهنا يأتينا قول الله الخالق الحكيم عَزَّ أمره: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ **(يونس:١٠٠- ١٠٣)**.

فإن قال: حسناً، لكن ما زال في قلبي شك، وأجد في نفسي سؤالاً يدفعني لأن أقول: هذا خلْقُ اللهِ، فمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟

قلنا: لا يصح هذا السؤال عقلاً، لأنه جمع بين الشيء ونقيضه، بين الحادث والـمُحدِث، وجعل الخالق مخلوقاً !! فالعقل السليم لا يقبل هذا السؤال: خَلَقَ اللهُ الخلقَ فمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟! من خلق الخالق الـمخلوق؟! لأنه لا يعقل خالق ومخلوق في آنٍ واحدٍ !!! فكما أن السيارة ليست هي الـمهندس الـذي صنعها؛ فكذلك الخلق ليسوا كخالقهم، وليس هو مثلهم، وكما لا يعقل أن توجد سيارة بدون مهندس، فكذلك لا بد للخلق من خالق واحد ينتهي إليه الأمر والخلق، عليم حكيم، قدير رحيم، له الكمال الـمطلق من جميع الوجوه، يختلف عن خلقه ولا يـُمَاثِـلُهُم، وهذا أمر معلوم ضرورةً وفطرةً.

ومَنْ جَوَّزَ أن يكون اللهُ الخالقُ مخلوقاً في آنٍ واحدٍ؛ فَلِمَ لا يُجَوِّزُ أن يكون الـمهندس سيارة ؟! نعوذ بالله من زوال العقل، والدخول في زمرة الـمجانين.

فَمِنَ الجنون طرح هذا السؤال (**من خلق الله؟**)، لأنه لا معنىٰ يُتَحَصَّلُ من ورائه.

وإصرار أَيِّ ملحد علىٰ طرح هذا السؤال للجواب عنه يعني نسف **قانون نفي الجمع بين المتناقضات**، وهو أمر مستحيل وممتنع.

وإذا كان السؤال لا معنىٰ له؛ فمن الطبيعي أن لا يجد جوابًا عليه، لأن الجواب عنه يعني الدخول في **فرضية اللاتناهي**، وهي من محالات العقول، وهي: لنفترض أننا أجبنا علىٰ سؤال: مَنْ خلق الله؟ بالقول: إنه خالق آخر! فسيرد حالاً نفس السؤال: مَنْ خلق هذا الخالق الآخر؟

والجواب: خالق آخر ! وهكذا في تسلسل لا ينتهي من الخالقين المخلوقين في نفس الوقت !!! كيف يكون خالقًا ومخلوقًا في نفس الوقت؟! كيف يكون موجداً لغيره وغيره موجداً له في نفس الوقت ؟ فلا بُدَّ من خالق غير مخلوق.

أراد أحدهم أن يمزح عندما رأىٰ أصنافًا من الطعام الشهي واللذيذ بين يديه؛ فقال: ما ألذَّ هذا ! مَنْ طبخ هذا الطعام ؟ فقالوا له: فلان الطباخ. فسأل مستظرفًا: **مَنْ طَبَخَ الطَّبَّاخَ ؟!**

لما عَرَضْتُ هذا السؤال علىٰ وَلَدَيَّ: **محمد (١٨ سنة) والمقداد (١٣ سنة)** كلاً علىٰ حدة لأكتشف ردَّةَ فعلهما، لم يستوعباه لأول وهلة !! فلما كررت عليهما السؤال؛ ضحك الأكبرُ منهما متعجبًا مستنكراً !! وقال: **أيُّ سؤالٍ هذا ؟!!**

وقال الآخر: **هذا سؤال مخبوط !!!**

وأقول: لو جَرَّبَ القراء عرض هذا السؤال علىٰ ذويهم وأصدقائهم لتعجبوا من الإجابات، ولانفجروا ضحكًا وسخرية منه، ولخرجوا بنتيجة واحدة، وهي: هذا

سؤال غير منطقي، لا يستحق الجواب، ولا يمكن أن يتخيله العقل، إذ كيف يكون الطباخ مطبوخـًا في نفس الوقت؟

ومثله تمامًا: مَنْ خَلَقَ الخَالِقَ؟!

كيف يكون الخالق مخلوقـًا في نفس الوقت؟!

هذا محال، هل البرهان يحتاج إلىٰ برهان؟! إن قلنا: لا؛ فلأن هذا هو منتهاه، إذ كيف يكون برهانـًا علىٰ الأشياء ثم هو يجب أن يتبرهن بالبرهان نفسه؟!!! وإن قلنا: نعم؛ فـ" ليس للبرهان برهان، لأن هذا يكون بلا نهاية، إن كان لكل برهان برهان؛ فلا يكون لشيء وجود ألبتة، لأن ما لا يُنتهىٰ إلىٰ علم أوائله فليس بمعلوم؛ فلا يكون علمـًا ألبتة "(١)، وهو مبدأ عند الفلاسفة يسمونه: **مبدأ التسلسل في العلل، وهو محال عندهم وعند كل إنسان سليم العقل.**

وما أحسن عبارة **الإمام أبي المعالي الجويني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"ما يتسلسل لا يتحصل"**(٢)، وهي عبارة رشيقة بليغة.

والمحصلة النهائية من هذا السؤال وجوابه ارتكاب محالين عقليين:

الأول: نفي الخالق.

---

(١) كما قال فيلسوف العرب الكِندي في [**(كتاب الكندي إلىٰ المعتصم بالله في الفلسفة الأولىٰ)** ص ٨٩ ـ تحقيق : د. أحمد فؤاد الأهواني ـ ط/ دار إحياء الكتب العربية وعيسىٰ البابي الحلبي وشركاه بمصر].

(٢) كما في [**(العقيدة النظامية)** للجويني (ص ١٣٥) ت/ د. محمد الزبيدي ـ ط دار النفائس بلبنان]

والثاني: القول بتسلسل علل لا نهاية لها (١).

وإذا أباح الملحد لنفسه أن يسأل هذا السؤال ! فَلْنَسْأَلْهُ: أنت مخلوق؟ فَلِمَ لا تكون خالقًا لنفسك؟! هل يمكن أن تكون مخلوقًا خالقًا لنفسك؟! سيقول: هذا سؤال خطأ، لأني جئت إلىٰ الوجود ولم أُوجِدْ نفسي، وانتقلت من العدم إلىٰ الوجود بدون سبب، وهذا باطل؛ لأن فيه نسفًا لـ**قانون السببية**، ولن يقول: أنا خلقت نفسي بنفسي !! فإن قال ذلك؛ فقد صادر عقله، ودخل في عداد المجانين، بل الأَضَلِّينَ جنونًا.

وأيُّ حجة عقلية يريدها الملاحدة بعد قول الله الخالق الحكيم وقد وضعهم في قسمة ثنائية حاصرة لا ثالث لها إلا هو سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ **(الطور:٣٥-٣٦)**؟، فهل خُلِقتم يا هؤلاء من غير خالقٍ؟ لأنه يستحيل أن توصفوا بالخلق من غير خالق، فهذا ممتنع ! كما يستحيل أن توصفوا بالخالق لأن كل واحد فيكم يفتقر إلىٰ غيره، ويتصف بالوجود ويلحقه العدم، فكيف يكون خالقًا؟ هذا تناقض غير مقبول، وهو أشدُّ امتناعًا من الأول !! وهذا يجعلنا نفهم لم صيغت الآية باستفهام إنكاري؟ ليتقرر من الآية البدهية التي يؤمن بها الناس كلهم، ويقف أمامها كل ملحد عاجزاً لا جواب له إلا أن يرددها مع المؤمنين: " إذا لم يكونوا خُلِقُوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم؛ تعيَّنَ أنَّ لهم خالقًا خلقهم " (٢).

---

(١) [(**المفصل في الرد علىٰ شبهات أعداء الإسلام**) ٢/ ١٦٦].

(٢) كما في [(**لوامع الأنوار البهية**) ١/ ١١٨ للسفَّاريني ـ ط/ مؤسسة الخافقين ومكتبتها بسوريا].

إن العقل ليتقبل أن يكون للوجود إلــه لا أول لـه، ولا يتقبـل أن يكـون للوجـود تسلسل لا نـهاية له، والقول بالتسلسل سيجعل صاحبه يؤمن بالسببية الـمطلقة، التي معناها أن لكل سبب مسبباً، وكل شيء في الوجود له سبب، حتىٰ ينتهـي بـه التفكيـر الـلاعقلاني إلىٰ أن يُدخِلَ اللهَ في السببية، فيطالب بسبب وجود الله !!! وهكذا سندخل مرة أخرىٰ في دوامة التسلسل ! فهذا استنتاج غيرُ معقولٍ معنـىٰ، ولا مُتَصَــوَّرٍ ذهنـاً، لأن السبب مخلوق أوجده الـخالق، فكيف يفتقر هـذا الخـالق إلـىٰ شـيء مخلـوق (**سبب**)؟ إن وجـود المخلـوق يعنـي أنـه لا بـد لـه مـن خـالق، والخـالق لا يقـاس بالـمخلوق أبداً، والـمخلوق لا يـمكن أن يفعل ما في الوجود من خلق بديع، ونظـام كامل، بالغ التعقيد والإتقان في جميع أجزائه ليكون بذلك خالقاً ومخلوقـاً في نفـس الوقت ! فالقول بذلك قول بـمحال، لا يوجد له في الواقع مثـال، بـل خيـال يصـيب العقول بالـخبال، ويجعل وجودنا فوضىٰ لا زمام لها ولا عِقال.

وإذا كان التَّسَلسُلُ محالاً لا وجـود لـه في الواقـع، ولا يقبلـه العلـم، فهـو مجـرد افتراض ذهني (فكرة)، احتيج إليه في باب الـجدل، وليس بأسـاس للتفكيـر العقلـي الصحيح.

وهذا السؤال اللامنطقي (**مـن خلـق اللّه؟**) يـدخل ضـمن مـا يعـرف بــ (**أغلوطـة الفـئة**)، وتتمثل في خلط الفئات بربط الشيء بغير فـئتـه التي هو منها، كالسؤال عـن لون الروائح (لون رائحة البنفسج)، أو طعوم الألوان (طعم اللون البُـنِّــي) [(١)] فـأيُّ سَقْطَـةِ سَـفْسَطَةٍ سَقَطَهَا الـملحد بسؤاله هذا؟!

---

(١) كما في [(**مَنْ خلق الله ؟**) د. سامي عامري (ص ١٢٨) ـ ط/ مركز تكوين بالسعودية].

نعم؛ لقد أعلن الملاحدة الماديون رفضهم للأديان، لكنهم - بجعلهم قوانين الطبيعة المادية هي التي أحدثت الكون، وأوجدت الوجود بالصدفة – يدعون إلىٰ وثنية دينية جديدة، آلهتها المادة وقوانينها، تتدثر بالعلم والمنطق، لكنها تنكشف عن جهل بحقيقة الخلق والخالق، فما أحرىٰ أصحاب هذه الديانة أن يقرؤوا قول الله الخالق الحكيم عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ **(النحل:١٧-٢٢)**

إن قول الله الخالق الحكيم: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ يبين سبب إنكار الملاحدة للرب سبحانه وتهربهم من الاعتراف بخالقيته للوجود؟ وهذا ما صرح به البروفيسور البيوكيميائي اليهودي الملحد **جورج والد** الحائز علىٰ جائزة نوبل في الطب، قال ما نصُّهُ: " عندما يتعلق الأمر بأصل الحياة؛ لا يوجد سوىٰ احتمالين: الخلق أو النشوء التلقائي ! لا يوجد طريق ثالث ! والنشوء التلقائي: تَمَّ دحضه قبل مائة سنة، ولكن هذا يقودنا إلىٰ استنتاج واحد آخر فقط وهو: الخلق الخارق للطبيعة ! **ولا يمكننا قبول ذلك لأسباب وأسس فلسفية !!** ولذلك؛ فإننا اخترنا أن نعتقد المستحيل، وهو أن الحياة نشأت تلقائيًا عن طريق الصدفة " (١).

---

(١) بواسطة [**(التطور نظرة تاريخية وعلمية وقفات من ذاكرة نشأة التطور وإلىٰ اليوم)** لمحمد صالح الهبيلي (ص ٧٨) ط/ مركز دلائل بالسعودية].

لاحظوا قوله: " **لأسباب وأسس فلسفية** " فعلىٰ هذه الكلمة يتكئ ملاحدة العالـم كلهم وبـها يتكاتـمون، جهر بـها بروفيسـورهم هـذا وكتمها مُـدَّعُــو **العِلْمَـوِيَّــة**، وصدق الله العليم الخبير إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢﴾ (البقرة:٧٢).

يا للعجب !!! كم من ملاحدة سيصدمون إذا علموا أنـه تَــمَّ تضـليلهم بــهاتيك النظريات عشرات السنين؟! فالحـمد لله علىٰ نعمة العقل والإيـمان.

لنسأل أصحاب نظرية الصدفة جريـًا علىٰ سؤالهم: من خلق الخالق؟ قائلين لهم: **من صَدَفَ الصُّدْفَـةَ** ؟ نبئونا بعلم إن كنتم صادقين، وأكيد لن يقولوا: صَدَفَ الصُّدْفَـةَ صُدْفَـةٌ؛ لأن هذا هو الدور بعينه، وهو ممنوع، ولا عاقل قائل به، فلم يَـبقَ إلا استبعاد سـؤال: (**مـن صـدف الصدفــة؟**) وسـؤال: (**مـن خلـق الخـالق؟!**) لعـدم عقلانيتهمـا وواقـعـيتهما.

كيف لـملحد يؤمن بالـماديات وينكر الغيبيات ويجعل هذا منهجـًا ثابتـًا يسـير عليه في حياته، فإذا سئل كيف وُجِـدَ هذا الكون؟ قال: وُجِـدَ صدفة !!

حسنـًا؛ ما الصدفة إذاً ؟ أهي قانون؟ فَمَنْ قَـنَّـنَـهُ ؟

أم هي حركة عشوائية ظلت تتحرك في كل اتجاه حتىٰ تَكَوَّنَ الكَونُ؟

فـمن حركها كل هذه الحركة؟ من الـمحرك الأول؟

أليست بـهذا الوصف غيبـًا من الغيوب؟ والغيـب لا يـرىٰ، فـلا وجـود لـه كمـا تزعـمون !

لا يوجد ملحد علىٰ ظهـر الأرض يسـتطيع أن يـأتي بـدليل واحـد وفـق القـانون الرياضي أو الـمنطقي يثبت به نظرية وجود الكون صدفة !

والعجب لا ينقضي من أناسٍ معدودين في العلماء لا يَـدَّعُونَ أن آلة التصوير - التي هي في الواقع تقليد ميكانيكي لعين الإنسان - جاءت من نفسها دونما اختراع إنساني، ولكنهم في نفس الوقت يعتقدون أن العين جاءت عن صدفة ومحض اتفاق !!!(١).

وبهذا تسقط قاعدة من قواعد الإلحاد العلمي المعاصر التي عبَّرَ أربابه عنها بقولهم: إنكار كل الغيبيات التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة.

والحق أننا عندما نحاور ملحداً ونضع أمامه هذه الحجج ونورد عليه الاعتراضات يضطرب ويحتار، إذ تنازعه الفطرة المخبوءة في نفسه إليها، وتجذبه أوهام الإلحاد اللامعقولة بقوة إليها، فتارة مع هذه، وتارة مع تلك، حتىٰ إنه ليكاد يُجَنُّ من ضَنكِ ما يشعر، وتقتله الهموم مرات ومرات مما يجد. فاللهُمَّ اهْـدِ كل ملحد وملحدة صراطك المستقيم.

دعونا ننقل هنا قولَ عالـمٍ متخصصٍ في مجال الطبيعة وهو يدحض فكرة وجود الكون بالصدفة عقليًا، قال عالم الطبيعة الأمريكي **جورج إيرل ديفيس**: " لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه؛ فإن معنىٰ ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن أن الكون هو الإله... وهكذا ننتهي إلىٰ التسليم بوجود **(الإله)**؛ ولكنَّ إلهنا هذا سوف يكون عجيبًا: إلهًا غيبيًا وماديًا في آن واحد !! إنني أفضل أن أؤمن بذلك الإله الذي خلق العالم المادي، وهو ليس بجزء من

---

(١) انظر [**(الإسلام يتحدىٰ مدخل علمي إلىٰ الإيمان)** لوحيد الدين خان (ص ٦٥) ط/ مكتب الرسالة ـ الهند].

هـذا الكـون، بـل هـو حاكمـه ومـديره ومـدبره، بـدلاً مـن أن أتبنـىٰ مثـل هـذه الخزعبلات" (١).

أليس هذا الكلام منطقياً؟ ويخضع له كل عاقل بالتسليم والقبول؟

وقد طبع مؤخراً كتاب بعنوان: (**الله، العلم، والبراهين**) لـمُفَكِّـرَينِ فرنسِيَّينِ همـا: **ميشيل - إيف بولوريه** و **أوليفيه بوناسييس**، يثبتـان مـن خلالـه أن العلـم يـدل علـىٰ وجود الله، " فـمعظم الاكتشافات التي تتالت في القرن العشـرين تــميل إلـىٰ ذلـك، نذكر من بينها نظرية النسبية لآينشتاين، وعلم الـميكانيكا الحرارية، ونظرية البيغ بانغ أو الانفجار الأعظم الـذي أَدَّىٰ إلـىٰ تشـكل الكـون، وعلـم الفلـك الكـوني، وعلـم الـميكانيك الكمي والـموجي، أي الفيزياء التي تـدرس اللامتنـاهي الصـغر، وعلـم الأحياء البيولوجية واكتشاف الجينوم الوراثي للإنسان، والتعبير العلمي للكون عـن طريق قوانين دقيقة صارمة لا يحيد عنها قيد شعرة ... يقول الـمؤلفان ما معنـاه: كـل هذه الاكتشافات العلمية تخلص إلىٰ النتيجة التالية: أن للكون بداية محددة تــمامًا، أي أنه مخلوق في لحظة ما، وإذا كانت له بداية فهذا يعني وجود سبب أو مسبب لهذه البداية، وبالتالي فالخلاصة الأكثر منطقية تدفعنا إلىٰ الاعتقاد بوجود روح ذكية تقف خلف الظواهر، أي وجود عقل عُلوي أعظم يحرك كل شيء من خلـف السـتار. مَـن الذي أعطىٰ النقرة الأولىٰ للانفجار الأعظم وخلق العالم؟ باختصار شديد؛ كل هـذا دليل علىٰ وجود خالق أعظم للكون " (٢) .

---

(١) بواسطة [(**الإسلام يتحدىٰ مدخل علمي إلىٰ الإيـمان**) ص ٩٣ ـ مصدر سابق].

(٢) انظر مقال [(**العلم يبرهن علـىٰ وجـود الله للمـرة الأولـىٰ**) لـهاشم صـالح ـ جريـدة الشـرق الأوسط علىٰ الشبكة ـ مع العلم أن الكتاب طبع في شهر أكتوبر ٢٠٢١م].

والآن – بعد كل ما ذكرنا – هل يجتمع في عقل إنسان الإيمان بالصدفة وإنكار وجود الله ؟

إننا علىٰ يقين بأن الملاحدة يشعرون في لحظاتِ صدقٍ مع النفس، وتحرِّرِ الفكر من وَهَمِ العلمية المادية بأن الوجود عظيم الخلقة، بديع الصنعة، متناغم الأجزاء، وأنه يسير علىٰ سنن قويمة لا تتبدل، قال الدكتور **بول ديفيز** أستاذ الفيزياء البريطاني في كتابه (**الجائزة الكونية الكبرىٰ – لماذا الكون مناسب للحياة ؟**)(١):" حتىٰ العلماء الملحدون الذين يشكلون جزءاً صغيراً وهشًّا من الكون يُدَبِّجُونَ قصائد المديح في ضخامته وعظمته وتناغمه وأناقته وعبقريته "

وقال **الدكتور سامي عامري**: " أَمِنَ العقلِ أن ينكر العقلُ الإلهَ الحكيمَ؛ ليقدس إلهَ الصُّدْفَة أو الصُّدَف؟! وكيف يخرج المعنىٰ من رحم العشوائية؟ وينبت الذكاء في أرض العفوية؟! " (٢).

وجدير بهذا المقام ذكر ملاحظة دقيقة أتت علىٰ دعوىٰ الملاحدة القائلين بعشوائية الكون من القواعد، فَخَرَّ عليهم سقف الوهم كاشفًا حقيقة عقولهم المضروبة بالعشوائية نفسها، نبَّهَ عليها أحد الدكاترة الفضلاء، أصوغها في الحوار التالي:

المؤمن: ألستَ أيها الملحد دائمًا ما تردد أن الكون عشوائي التكوين؟

الملحد: بلىٰ.

---

(١) [(ص ٣١) – ترجمة : د. سعد الدين خرفان ـ ط/ وزارة الثقافة السورية].

(٢) من [(مَنْ خَلَقَ الله ؟) ص ١٦٦ – مصدر سابق].

الـمؤمن: ما حجتك علىٰ ذلك؟

الـملحد بكل ثقة: عقلي استنتج هذا الحكم.

الـمؤمن وبدون تردد: علىٰ مهلك يا هذا؛ انظر ماذا تقول؟! ألست أنت جزءاً من هذه العشوائية؟

الـملحد في دَهَشٍ وتَرَدُّدٍ - وكأنما ضُرِبَ علىٰ رأسه - : بلىٰ !! بلىٰ !!

الـمؤمن: إذاً؛ فبأيِّ عقلٍ حكمتَ علىٰ الكون بالعشوائية وعقلك جزء من هذه العشوائية نفسها؟ كيف سيحلل عقلك ويستنتج، ويعطي البيانات، ويرتب الـمعلومات للوصول إلىٰ الحكم علىٰ هذا الكون الواسع الفسيح الـموصوف بالعشوائية عندك؛ وعقلك نفسه مضروب بالعشوائية؟! عقلك عشوائي يا هذا !!!

منطقيًا - وبإجماع العقلاء - يجب وضع مَنْ كان عقله عشوائيًا جانبًا والحجر عليه، لأنه لا يـمكن - في منطق العقل وقوانين العلم - إثبات عشوائية الكون بعقل عشوائي !! وإذا أبىٰ الـملحد وصف عقله بالعشوائية حاكمناه بقانون التطور الإلحادي الذي يجعله فاقداً للثقة، لا قيمة له، قال **داروين**: " ولكن هنا يراودني الشك الآتي: هل يـمكن أن يكون عقل الإنسان - والذي أؤمن إيمانًا جازمًا أنه تطور عن عقلٍ كذلك الذي تـمتلكه أدنىٰ الكائنات - محلاً لثقتنا وهو يدلي بتلك الاستنتاجات العظيمة؟! " [١].

---

(١) بواسطة [(**الـعـودة إلىٰ الإيـمان**) د. هيثم طلعت (ص ٢٠) - ط/ دار الكاتب بـمصر].

إلىٰ متىٰ سيظل الإلحاد يهدر العقل البشري؟ كيف يرضىٰ الملاحدة علىٰ عقولهم بتفسير غير المفهوم بغير المفهوم؟! ومَنْ أضلُّ مِمَّنْ ينطلق من وهم معدوم طمعًا في عدم موهوم؟!

ولما كان هذا السؤال التشكيكيُّ من وساوس الشيطان لبني آدم؛ فقد أرشدنا **النبي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله معلمًا للناس أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين كيف نتعامل مع وسوسة الشيطان هذه لردِّها وإبطالها، وذلك بعدة أمور:

(١، ٢) الاستعاذة والانتهاء عن الاسترسال في السؤال، وذلك في قول **نبينا الصادق المصدوق** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**» رواه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (٢١٤).

(٣، ٤) قول: " الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد "، والتَّفْلُ عن اليسار ثلاثًا كما علمنا **نبينا** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوىٰ بقوله: «**يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّىٰ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا:** ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ **(الإخلاص:١-٤)، ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ**» رواه النسائي في السنن الكبرىٰ (١٠٤٢٢) وأبو داود (٤٧٢٢) وحسَّنه العلامة الألباني [١].

---

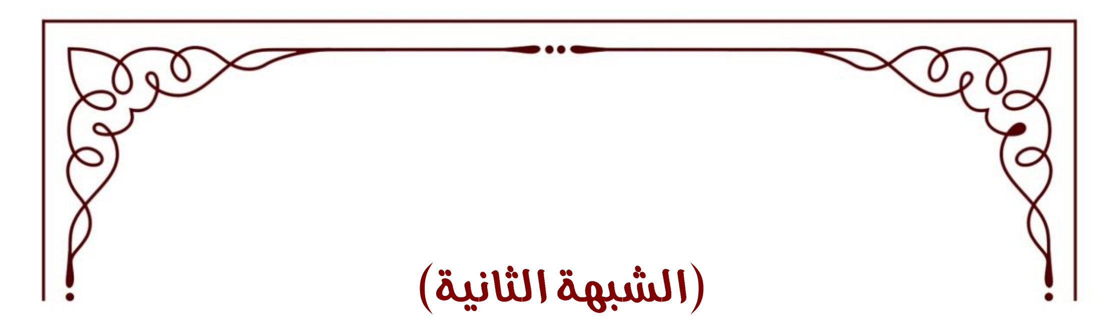
(١) في [**(السلسلة الصحيحة)** برقم ١١٨ ـ ط/ مكتبة المعارف بالسعودية].

(٥) أن يقول: آمنت بالله وبرسله، كما قال **نبينا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموحىٰ إليه من ربه: «**لَنْ يَدَعَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: فَمَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَإِذَا حَسَّ أَحَدُكُمْ بِذَلِكَ فليقل: آمَنْتُ بِاللهِ وَبِرُسُلِهِ**» رواه ابن حبان (١٥٠) وهو صحيح [(١)].

والطريقة النبوية الشرعية في دفع هذا السؤال الإلحادي أكمل وأنفع، وأقوىٰ وأقطع، وبالله العصمة أجمع.



(١) كما قال العلامة الألباني في [(**التعليقات الحسان علىٰ صحيح ابن حبان**) ١/ ٢٤٢].



(الشبهة الثانية)

قالوا: إذا كان الله إلهاً يحب الخير والعدل ويتصف بالحكمة والرحمة ومطلق القدرة والإرادة فلا يـمكن أن يوجد الشر، لكن الشر موجود، وهو محضُ فسادٍ لا خير فيه، فوجود الله والشر تناقض ؟ بناءً على أن وجود أحدهما يستلزم نفي الآخر، إذاً الله غير موجود ؟!! وعَدُّوا هذه الشبهة أقوى حجج الإلحاد ضد الإيـمان، حتى لقد تعلل بها كثير من الـملحدين ليعلنوا رفضهم القاطع أن يكونوا مؤمنين مع وجود الشر في الأرض.

الـجواب:

لا جديد في هذه الشبهة، فقد تناولتها بالأخذ والرد مختلف النحل والأديان كلٌّ حَسَبَ معتقده، ولا يزال شبحها يطل من آنٍ إلىٰ آنٍ، حتىٰ إنـها عُـدَّتْ " مشكلة الـمشاكل في جميع العصور " (١)، وأصبح لها حضورها الواسع في عـالم الأفكار، وتأثيرها الواضح علىٰ تبني الإلحاد في كثير من الأقطار، وإنـما تفاقم الحديث عنها في عصرنا لسببين:

١- كثرة الشرور.

٢- وكثرة اللجاجة فيها، بحيث كثر الخائضون فيها (٢).

---

(١) كما قال الأستاذ عباس العقاد في [(عقائد الـمفكرين في القرن العشرين) ص ٦٤ ــ دار الـمعارف بـمصر].

(٢) [الـمصدر السابق (ص ٦٥)].

ولكن؛ ما علاقة الشر بوجود الله عَزَّوَجَلَّ؟ أَلِأَنَّـهُ يحب الخير ويأمر بالعدل فعصىٰ الناس أمره ووقعوا في الشر ومارسوه بشتىٰ صوره إذاً هو غير موجود؟ يا له من تفكير عجيب !!!

ولو أن أبـًا أمر أبناءه بتنفيذ عَمَلٍ ما فعَصَوْا أمره، وفعلوا عكس ما قال؛ فهل يقال: إذاً الأب غير موجود ؟! ولا يستحق أن يكون أبـًا، لأنـهم فعلوا عكس ما قال !! فـلا أبوة أصلاً !!!

وإذا كان وجود الشر يعني أن لا إله !! فوجود الخير في الأرض - وهـو أكثـر مـن الشر - ما معناه؟ ومَنْ أوجده؟ وكذلك الشرَّ؛ مَنْ أوجده؟!

أليس قولهم بوجود الشر يعني بالضرورة وجود الخير ؟!

يتعين علىٰ الـملاحدة الإجابة علىٰ هذه الإشكالات أولاً.

وهنـا نلاحـظ أن الــملاحدة لا يشـعرون أنــهم مؤمنـون بـالله عنـدما يُلَوِّحُـونَ بـمعضلة الشر أمام الـمؤمنين ! فإدراكهم بقيمة الخير والشـر تعنـي منطقيـًا وجـود قانون تَـمَّ الرجوع إليه لـمعرفة قيمتهما، وهذا القـانون لا يـمكن إنتاجـه في معامـل الــمختبرات، ولا رؤيتـه عـبر منـاظير التلسـكوبات، ولا اسـتخراجه مـن جـداول الرياضيات، ولا يـمكن أن تلهمه الصدفة !! بل تَـمَّ الاهتـداء إليـه مـن عَالَـمٍ غيـرِ عَالَـمِنَا، وهذا يعني بـما لا شَكَّ فيه **وجود الله** الهـادي إلـىٰ قـانون الخيـر والشـر في البشر، ويستحيل علىٰ الــملاحدة أن يعتقـدوا وجـود القـانون الأخلاقـي بـدون الله عَزَّوَجَلَّ. ألـم يقل الله الخالق الحكيم عن الإنسـان: ﴿وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ **(البلد: ١٠)**

قال **عبد الله بن مسعود** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسير النجدين: " سبيل الخير وسبيل الشر " (١).

---

(١) [(**تفسير عبد الرزاق الصنعاني**) ٣/ ٤٢٩ – ت د. محمود محـمد عبده ـ ط/ دار الكتب العلمية بلبنان].

ألم يُقسِم الله عَزَّ أمره بالنفس البشرية قائلاً: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ (الشمس:٧-٨) ؟ قال **ابن عباس ترجمان القرآن** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بيان ما هو فجور النفس وتقواها: " بَيَّنَ الخيرَ والشرَّ "(١)، فالخير والشر معلومان لدىٰ كل نفس بشرية، مُلهَمَةٌ بهما، مَهدِيَّةٌ إلىٰ اختيار ما تريد منهما، وهذا ما كان يجده في نفسه الكاتب الإيرلندي والمذيع الشهير **سي.إس لويس** فقال معبراً عن هذه الحقيقة عندما كان ملحداً: " اعتراضي ضد الإيمان بإله هي أن العالَم غير عادل علىٰ الحقيقة، لكني كيف استنتجت فكرة العدالة والظلم؟! إن الإنسان لا يقول إن الخط به اعوجاج إلا إذا كان يعرف الخط المستقيم. بِمَ كنت أقارن هذا الكون عندما قلت: إنه ظالم؟! " (٢).

ولهذا لو كان الإلحاد صحيحاً لما استنكروا وجود الشر، فالاعتراف بوجود الشر ينسف الإلحاد من أساسه، لأن العالَم - في نظر الملاحدة - ماديٌّ مُصْمَتٌ تحكمه حتميات ثابتة، فلا خير فيه ولا شر، ولا قداسة ولا نجاسة.

فدعوىٰ الملاحدة كلهم بصحة إلحادهم بهذه الحجة الداحضة غفلة وجهل مركب، **فلو كان الإلحاد صحيحاً لَمَا ألحد أحد، نعم؛ لَمَا ألحد أحد** كما قال **د. هيثم طلعت** في إحدىٰ لقاءاته التلفازية.

ومن ثَمَّ؛ فنفي الملاحدة لوجود الله بحجة وجود الشر ما هو إلا دعوىٰ تناقض فطرة الإيمان المودعة في أنفسهم، والميثاق الأكبر الأزلي الذي واثقهم الله به

---

(١) [(**تفسير ابن جرير الطبري**) ٢٤/ ٤٥٤ـ ت أحمد محمد شاكر ـ ط/ مؤسسة الرسالة بلبنان].

(٢) بواسطة بحث [(**إشكالية الشر والثيوديسيا عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب**) د. رشا محمود رجب ـ مجلة كلية الآداب جامعة دمنهور عدد ٣١ ج ٢ (ص ١١٦٠ ـ ١١٦١)].

بالـمربوبية له سبحانه، وإقرارهم بالشهادة علىٰ أنفسـهم بـذلك قبـل الخـروج إلـىٰ العالم الـمشهود، قال الله الخالق الحكيم مبينـًا عهده بذلك مع بني آدم كلهـم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ (الأعراف: ١٧٢).

وهذا النص القرآني يوضح بـما لا لبس فيه أسبقية الإيـمان علىٰ الإلحاد تاريخيـًا، وأن كل إنسان مفطور علىٰ الإيـمان بالله ما لـم تدخل علىٰ فطرته عـوارض تفسـدها من كفر وإلحاد (١)، وهذا هو جواب السؤال الـمصيري الذي عجز الـملاحدة قاطبة عن الإجابة عليه، وهو: **لـماذا تظهر عقيدة الإيـمان بالله في الإنسـان وافتقـاره إليـه في عفوية ثابتة دائمة يشترك فيها النوع الإنساني في كل زمان ومكان؟ من أين جاءت فكرة التأليه هذه؟ لِـمَ يشعرُ الإنسان في أعماق نفسه بوجود الله، ويتجه إليه تلقائيـًا ويناديـه نداءَ مخلوقٍ لا غنىٰ له عن خالقه؟** (٢)

ولذا؛ فمحاولة طمسه وإنكاره ما هي إلا عناد واستكبار، وشذوذ عن الفطرة التـي فطر الله الناس عليها، يقول **فيكتور فرانكل**: " إن الحاجة إلىٰ التدين عنصـر دفـين في النفس البشرية، وقد نستطيع أن نخفي علىٰ غيرنا شعورنا الـديني، ولكـن إذا تعمـدنا إخفاءه علىٰ عقولنا الواعية؛ وحاولنا أن نسـاير الاتجـاه العصـري في اعتبـار التـدين

(١) وانظر تفسير [(**التحرير والتنوير**) ٩/ ١٦٦ ـ ١٦٨/ مصدر سابق] و [(**في ظـلال القـرآن**) ٣/ ١٣٩٢ – ١٣٩٣/ مصدر سابق].

(٢) وانظـر [(**إلـه الإلحـاد الـمعاصر مـاركس ـ سـارتر**) لكوسـتي بنـدلي (ص ١٧ – ١٨) – ط/ منشورات النور بلبنان].

والشوق إلىٰ التعبد من مخلفات العقائد التي ورثناها عن الماضي العتيق، وليست هناك حاجة جوهرية إليهما؛ لتعرضت نفوسنا لصراع داخلي عنيف أشد خطراً علىٰ الأعصاب والصحة النفسية والجسدية من كبت الغرائز " (١).

إن السياق القرآني حين يقصُّ علينا مشهد الإشهاد بين الله وبني آدم وهم بَعْدُ في الأصلاب؛ فهو يذكر لنا غيباً من الغيوب التي يجب التصديق بها وإن لم ترها أعيننا، ولا لأحدٍ بعدُ أن يقول: " كيف كان هذا المشهد؟ وكيف أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم علىٰ أنفسهم؟ وكيف خاطبهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ وكيف أجابوا: ﴿بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾؟.. فالجواب عليه: أن كيفيات فعل الله – سبحانه – غيب كذاته، ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كيفيات أفعال الله ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله " (٢).

ولسنا بحاجة إلىٰ التدليل علىٰ ما في الوجود من أمور تجري لها أعمال بكيفيات معينة لا يملك البشر قاطبة إدراكها، **فعدم الإدراك لا يدل علىٰ عدم الوجود**، ومن أمثل ما يذكر في هذا المقام؛ **الروح** التي يعيش بها الناس، وكل إنسانٍ أيام كان جنيناً في بطن أمه يبقىٰ مدة الأربعة الأشهر الأولىٰ لا روح فيه، وبعدها تدب فيه الحياة فيتحرك، فأيُّ شيء سرىٰ إليه وجعله يتحرك؟ أليست الروح التي جعلها الله غاية في الظهور وغاية في الخفاء؟ هل يمكن إدراك دخولها إليه؟ لِمَ لا نسمعها؟ لا نراها؟ لا نلمسها؟ ثم إنه يخرج إلىٰ عالم جديد ويُعَمَّرُ فيه ما شاء الله أن يُعمَّر

---

(١) بواسطة [**(الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية)** ص ٣١ ـ ٣٢/ مصدر سابق].

(٢) [**(في ظلال القرآن)** ٣/ ١٣٩٣/ مصدر سابق].

ثـم يُـرَدُّ إلىٰ أرذل العمر، وفجأة يصير جثة هامدة لا حراك بـها !! ما الـذي حصـل؟ كيف خرج منه سِـرُّ الحياة (**الروح**) التي لا ترىٰ؟

نؤمن وجميع البشر بـهذه الظاهرة، والكل يراها تتكرر أمامه كـرات ومـرات وإن اختلفوا في حقيقتها، ولـم يجد العلماء التجريبيون – ولن يجدوا – تفسيراً ماديًا لـها، ومن أيِّ شيء هي؟ وكيف تسري في الأجسـاد فتحيـا ثـم تفارقهـا فتمـوت؟ ليكـون الـموتُ بظلاله السوداء الحقيقة الـمتجددة التي يصـمت أمامهـا الإلحـاد مُـنَـكَّسَ الرأس، لا ينبس ببنت شفة من معرفة أو برهان، تاركـًا البشرية " في ذرات تائهة تافهـة مجهولة الـمصير، ولا شيء غير الـمجهول " (١).

والكل – مؤمنون وملاحدة – يجدون أنفسهم مؤمنين بـها طوعـًا أو كرهـًا مـن غير إدراك لها، وعلمهم بـها أمر بدهي لا يحتاج إلـىٰ دليـل. ألا يُـعَـدُّ هـذا إيـمانـًا بغيب غير مدرك؟ أليس في الإنسان دالَّـةٌ باطنة تـهديه إلـىٰ غيـوب يـؤمن بـها ولا يراها؟ فما الـموقف إذاً من الغيوب الـماضية والـمستقبلة التي أخبر الله عنها؟

إِنَّ " موقف الـمؤمن من الله كموقف التلميذ الذي يطمئن إلىٰ علـم أسـتاذه، فـلا يـمتحنه، ولا يتردد في قبول دروسه ومعارفه، فيكون هذا الاطمئنان برهانـًا علـىٰ أنـه تلميذ صالح للتعلم، مستحق للمكافأة، وحُسنِ الجزاء "(٢).

---

(١) كما في [(**الوجه الحقيقي للإلحاد**) ص ١٠١/ مصدر سابق].

(٢) اقتباس من [(**عقائد الـمفكرين في القرن العشرين**) ص ١١/ مصدر سابق].

وقد جاء في صحيح البخاري (٦٥٥٧) وصحيح مسلم (٢٨٠٥) ما يزيد الآية بيانًا، فعن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي».

وعندنا نَبَأٌ يقينٌ عن الذي تولىٰ كِبْرَ هذه العوارض الصارفة لفطرة بني آدم، إنه الشيطان الرجيم عدو الإنسان المبينُ، والقرآن الكريم كثير التبيان لعداوته لبني آدم، حيث ذكره في (٨٨) موضعًا، والآيات في هذا متنوعة، ومن أصرحها قول الخالق الحكيم عن إبليس الرجيم وهو يتوعَّدُ ويَتَعَهَّدُ بإضلال بني آدم: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ (النساء: ١١٨- ١٢٠)، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ (البقرة: ١٦٨- ١٦٩) ومقالات الملحدين في الله من جملة القول علىٰ الله بغير علم.

وبَيَّنَ الله الخالق الحكيم أن الشيطان وراء كفر الإنسان، فقال: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الحشر: ١٦- ١٧)،

وقد نجح الشيطان في إزاغة كثير من بني آدم عن الإيـمان إلىٰ الكفر، ولكن مما ينبغي التذكير به أن الشيطان لا يـملك القـوة والحاكميـة الـمطلقة للكـون كِـنِدٍّ للخـالق سبحانه، ولا يـملك قدرة التصرف في شؤون تسيير الخلق، بل هـو جـزء مـن النظـام الإلهي الذي اختطَّه الله في هذه الحياة، وإنـما أقدره الله علىٰ حرية رفض التبعيـة لـه، والـمعارضة له سبحانه، ليكون هو مادة الشر، الساعي لإفساد الإنسان قدر الإمكان.

وجاء في الحديث القدسي ما يؤكد ذلك، ففي صحيح مسلم (٢٨٥٦) **عـن عيـاض الـمجاشعي** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أن رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال فيما يرويـه عـن الله عَزَّ وَجَلَّ أنـه قال: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَـالَتْهُمْ عَـنْ دِيـنِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا**».

ومعنىٰ: «**فاجْتَالَتْهُمْ**»: أي صرفتهم عن فطرة الإيـمان وأفسدتـها، وسـاقتهم إلـىٰ الباطل، وجعلتهم يجولون معها في الضلالة.

فهلموا؛ هلموا إلىٰ العودة لأصل فطرتكم، وانتظموا في سلك التناسق الوجودي.

وأَحْسِبُ أن هذا الجواب كافٍ لبيان خطأ سؤال الشر وعدم تـماسكه، وسـقوطه أمام أول جواب عليه.

لكن؛ تعالوا لنفكك معضلة الشر الـمعَبَّـرِ عنها **بـصخرة الإلحـاد** أكثـر، ونـرىٰ كيف تَـتَـبَدَّدُ هباءً منثوراً.

تُرَىٰ؛ لو ألحد الناس كلهم؛ أكان في هذا ما يُنْهِي الشر ويزيله؟

أَتَعَجَّبُ !! لِـمَ يُـتعِـبُ الـملاحدة عقولهم بـهذا التناول السطحي لمسألة معضلة الشر: الشر موجود، إذاً الله غير موجود !!!

إنهم بهذا لا يحلون المعضلة ولا يفككونها، بل يفشلون بالهروب منها وعدم فهمها وحلها حلاً منطقياً علمياً، وهل من العقلانية وضع المشكلة ثم تركها بلا حَلٍّ؟ هذا ما لا يفعله الإنسان الواعي، وواجبه الأخلاقي يأبىٰ ذلك. نعم؛ ففاقد الشيء لا يعطيه، فالإلحاد لا يعطي حلاً مريحاً لمن أصيبوا بالشر، ولا يقدم للعالم حلاً عملياً لمعضلة الشر، ولا أمل يَعِدُ به الناس سوىٰ الفناء والانقراض، لأنه لا مشكلة في الشر عند كل ملحد مادي، لأن هذا ضد معتقده في كُلٍّ من الخير والشر كقيمة، كيف وصاحبه يعتقد أن (**كل شيء في الحياة بلا معنىٰ**)؟ بينما نجد الإيمان يعطي ذلك كله، ويُقدِّمُ ذلك بإقناع عقلي مريح للنفس ومُطَمْئِنٍ لها، مُمِدٌّ لها بالخير البديل في الدنيا والآخرة، وبدون الإيمان بالله يبقىٰ سؤال الشر بلا جواب يريح النفس ويُسَلِّي عليها مصائبها.

علىٰ أن جملة (**كل شيء في الحياة بلا معنى**) هل لها معنىٰ يا قائلها؟

إن قلت: نعم لها معنىٰ؛ فللحياة بطولها وعرضها ونظامها وإتقانها وتنوعها معنىٰ ولا بُدَّ، وإن قلت: لا؛ سقط الاحتجاج بها، وغارت تَتَرَنَّحُ في مجاهل السقوط غير مأسوف عليها (١).

هذه الشبهة " تبدو في ظاهرها قوية، ولكنها [عند التأمل] محملة بشحنة عاطفية ضخمة تجعل حكمها غير صحيح "(٢)، وتلوذ بملاذٍ غير آمن للمغالطات، لأنه مكشوف، ولأنها تَمَّ النظر إليها من جانب إنساني شخصي لا من جانب كوني قدري.

---

(١) وانظر [(**الوجه الحقيقي للإلحاد**) ص ٨٢/ مصدر سابق].

(٢) [المصدر السابق (ص ٩٢)].

فحقيقتها عدم الرضا عن الشر، والتوجع مما يشاهد هنا وهناك من أمراض وقتل وآلام، وهذا شعور عاطفي (خوف + غضب) لا علاقة له بوجود الله كما ترون، " وهما من حالات فقدان التركيز العقلي والسيطرة علىٰ النفس " (١).

ولأن الإنسان محدود العلم والفهم والقدرات؛ فيأتي الاعتراض من الملحدين علىٰ أفعال الله وما قَدَّرَهُ في هذه الحياة لا علىٰ وجود الله، ويرون أن الله يحول بينهم وبين تحقيق مايريدون ! فالمشكلة عندهم في فهم الإله لا في الإله نفسه، في صفاته لا في وجوده، ولذا؛ فأصحابها يفترضون صفات وهمية في الإله الذي يريدون، وحقيقة الأمر ومُؤَدَّاهُ: إله غير موجود ! وما إلحادهم إلا رفض لأمر الله وخلقه أكثر مما هو نفي لوجوده، واتباع لهوىٰ النفس بدلاً من حديث العقل، ليصير الهوىٰ إلههم الجديد ويدخلوا في استعباده طائعين، والقرآن بدوره يكشف هذا السلوك الشاذ، ويبين أوهام أصحابه، ودعاواهم التي لا تستند إلىٰ دليل علمي ولا برهان منطقي، فيقول الله الخالق الحكيم جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ **(الجاثية:٢٣-٢٤)**.

ثم ما الذي جعل الملاحدة يقولون: هذا شر؟!

---

(١) كما قال أد.خالد الدريس في مقال له بعنوان : [(**لماذا أسلم فيلسوف الرياضيات الملحد ؟ - ١- وجدتُ القرآن كأنه يقرؤني**) ـ موقع طريق الإسلام].

أليس هذا سؤالاً أخلاقياً؟ وهم يدعون إلىٰ نبذ الأخلاق وجعل الكون لا أخلاقياً؟ ألم يقولوا من قبل: لا خير في هذه الحياة ولا شر، وإنما نحن عبارة عن ذرات ومواد لا روح فيها ولا نفس ولا ضمير، وصرنا في عالم عشوائي من التفاعلات الكيميائية؟ وأفعالنا رَدَّاتُ فِعْلٍ لإشارات مُخِيَّةٍ وعَصَبِيَّةٍ، فلا ثواب ولا عقاب، ولا حلال ولا حرام ؟!

أرأيتم كيف نقضوا كلامهم من أساسه؟

أيها الملحد: فَسِّرْ لي الشرَّ أولاً؛ أُفَسِّرْ لك سبب وجوده.

هل هو قيمة مادية؟ ما البرهان العلمي علىٰ ذلك؟

هل يمكن للمادة أن تعطينا قِيَمَاً شِرِّيرَةً أو خَيِّرَةً؟

هل يستطيع علماء الإلحاد أن يُكَوِّنُوا للأخلاق صيغاً علمية وقوانين فيزيائية ليتم اعتمادها في المعامل، وتدريسها في الجامعات؟

لم يبق إلا التأكيد علىٰ أن اسمية الشيء بـ (**الشر**) فهذا مصطلح غير مادي، واكتسب (**الشر**) هذا الاسم من عالم ميتافيزيقي خارج عن طبيعتنا، في إجماع بشري لا يَشُذُّ عنه إلا معاند.

وعلىٰ الرغم من وضوح هذا الأمر؛ فلا بأس من توضيحه أكثر، فنقول: إن وجود الشر يعني وجود الله جلاله ولا بُدَّ:

وجـــود الشـــر = وجـــود الله

وحيث إن وجود الشر يستلزم وجود الخير؛ ووجودهما يستلزم وجود قانون أخلاقي ينتظمهما؛ فوجود هذا القانون الأخلاقي يعني بداهةَ وجودِ مُلهِمِهِ في البشر، وهو الله ربُّ العالـمين.

والعكس بالعكس؛ فإنكار وجود الله يعني إنكار وجود قانون أخلاقي تنتظم به حياة البشر، وإنكاره يعني أنه لا وجود للخير والشر، ولا يوجد ملحد علىٰ وجه الأرض ينكر وجود الشر، وهذا يؤكد لنا صحة الحقيقة القائلة: **لا يوجد إلحاد مطلق**، لأن إيمان الـملحد بوجود الشر إيمان بالله في جزئية الشر هذه وهو لا يشعر، وهذا يكشف لنا أنه لا يوجد إلحاد متماسك، وأن معضلة الشر صارت معضلة عليهم، وأن التناقض سيما الـملحدين أينما شرقوا أو غربوا، وأفكارهم كلما ازداد النقاش فيها ألغىٰ بعضها بعضًا، وتتغير فرضياتهم باستمرار بما يؤدي إلىٰ تصادم نتائجها، وتراهم يهدمون منهجهم بأيديهم وأيدي الـمؤمنين، ويعيشون حياة تخالف إلحادهم الذي لا يعدو سوىٰ أفكار تهيم في الظنون والهوىٰ، وربنا الخالق الحكيم أصدق القائلين يقول في مثل هؤلاء: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ (النساء:٨٢)

إنهم لا يقرون بوجود الله ابتداءً حينما جعلوا الوجود من صدفة ! فكيف يجعلون من معضلة الشر سببًا لنفي وجود الله؟! أم فَرُّوا من معضلة الشر بنفي وجود الله وخلقه للكون إلىٰ نسبة ذلك إلىٰ الصدفة؟ أم هو التخبط الـمعهود؟!

وإن مقدمتهم في تقرير أن الإله يجب أن يكون مطلق القدرة محبًا للخير والعدل متصفًا بالحكمة ما هي إلا مغالطة لعدم الرضا عن الله وما يقضي به من أحكام

وأقدار، إذ لو كانوا يعتقدون ذلك حقاً لَلَزِمَهُم من هذه الكمالات إثبات حكمة أفعال الموصوف بها، وأن ما يفعله ويُقَدِّرُهُ فلغاية مقصودة منه سبحانه، " إذ وجود الملزوم بدون لازمه؛ والمشروط بدون شرطه ممتنع " (١).

أليس إلهاً ؟! فلماذا تسلبونه حُرِّيَّةَ ما يُريد ويَفعل ويُقدِّرُ ؟! وتنفون عنه حكمة ما يقضي ويحكم ويُشَرِّعُ ؟! سبحانه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ **(الأنبياء: ٢٣)**.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " لا لمجرد قدرته وقهره؛ بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته " (٢)، فما أَخَسَّ الإنسان حين يجرؤ علىٰ قياس نقصه بالكمال المطلق !

فَـلا تَظُـنَّنَّ بِرَبِّـكَ ظَـنَّ سَـوْءٍ — فَـإِنَّ اللهَ أَوْلَـىٰ بِالجَمِيْـلِ
وَلَا تَظُـنَّنَّ بِنَفْسِـكَ قَـطُّ خَيْـرًا — فَكَيْـفَ بِظَـالِمٍ جَـانٍ جَهُـوْلِ

قال **بوب جيسوب** أستاذ الفلسفة وعلم النفس بجامعة (**هل**) البريطانية في رسالة له بعنوان (**لِـمَ الدين؟**): " ونحن نأبىٰ أن نصف شيئاً بوصف الربانية ما لم يكن أسمىٰ وأقدر من كل شيء نعرفه في نطاق المكان والزمان " (٣).

ثم إن نفي القانون الأخلاقي برمته يؤدي إلىٰ نفي الواجب الأخلاقي الرابط بين الإنسان وما حوله، وهذا شر آخر يُضافُ إلىٰ الشر الذي أنكروه، ونفوا وجود الخالق بسببه !!

---

(١) [(**مدارج السالكين**) لابن قَيِّمِ الجوزية (٣/ ٢٧٧) ـ ط/ دار الحديث بمصر].

(٢) [(**مجموع الفتاوىٰ**) ٨/ ٧٩].

(٣) كما في [(**عقائد المفكرين في القرن العشرين**) ص ١٢/ مصدر سابق].

فاغتصاب فتاة مثلاً له غاية عند المغتصب، ولكن ليس له (**قيمة شَرٍّ**) عند الملحد ! وممارسة الجنس – كما يقول أحدهم – بين الإنسان والحيوان أمر محمود، **ولا شَرَّ فيه** طالما يؤدي إلىٰ استمتاع الطرفين !! والقائمة في هذا تطول وتطول.

وهذا المفهوم القِيَمِيُّ الضاربُ في النكارة والشذوذ أَنْبَتَهُ رجس قاعدة الملاحدة المشهورة: " **إذا لم يكن الله موجوداً؛ فكل شيءٍ مباح** ".

فلا إله إلا الله !! كم من الشرور والجرائم وَلَدَتْـهَا هذه الكلمة؟ لا عَـدَّ لها ولا حَـدَّ !!! والشواهد لا تخفىٰ علىٰ أحد.

أليست هذه ثغرةَ تناقضٍ في مذهب القوم وقعوا فيها وهم لا يشعرون؟!

قال البروفيسور **هوبار مورير** – وكان رئيساً للرابطة الأمريكية لعلم النفس – وهو بصدد ذكر عاقبة التحرر من الأخلاق: " وعندما أصبحنا غير أخلاقيين ومحايدين، وتحررنا من الأخلاق؛ قطعنا بذلك جذور كياننا، وفقدنا شعورنا العميق بالذات والهوية !! وجدنا أنفسنا نسأل مع المصابين بالأمراض العصبية: **مَنْ أنا؟ وما هو قدري الأعمق؟ وما معنىٰ الحياة؟** "(١).

ويبقىٰ السؤال قائماً: ماذا يحدث للإنسان عندما ينفض عنه نزعته الإنسانية، ومبادئه الأخلاقية، وقيمه الدينية؟

---

(١) [(**هل يستطيع الإنسان أن يحيا من دون الله ؟**) د. رافي زكرياس (ص ٢٣١) ـ ترجمة بولس رعد ـ ط/ دار منهل الحياة بلبنان].

لقد فَعَلَ الإنسان هذا في العقود الأخيرة، واستبدل كل ذلك بأفكار ونظريات إلحادية جامحة تجاه الإنسان والكون والأخلاق والدين؛ فماذا حدث؟

ألم يزدد الشر في أرجاء العالم؟ أليست الفضيلة في قفص الاتهام؟ والرذيلة تسرح وتمرح مَزْهُوَّةً علىٰ الدوام؟ ألا يُعَدُّ مرح الرذيلة وشيوعها، واتهام الفضيلة بالإرهاب خيراً عند فئام من الناس؟ أليس كذلك؟

قال فيلسوف بريطانيا الشهير **جون لوك** أحد منظري الدولة المدنية الحديثة: " وأخيراً؛ لا يمكن التسامح علىٰ الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله، فالوَعْدُ والعَهْدُ والقَسَمُ من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة للملحد، **فإنكار الله حتىٰ لو كان بالفكر فقط؛ يُفَكِّكُ جميع الأشياء** " (١) .

وأعجب منه قول فيلسوف فرنسا التنويري **فولتير**: " **لِمَ تُشَكِّكُونَ في الله؟! ولولاه لخانتني زوجتي، وسرقني خادمي !!** " (٢).

وقال في رسالة للملحدين: " **لو لم يكن الله موجوداً؛ لكان ينبغي إيجاده** " (٣).

وبين سبب ذلك بقوله في مفتتح مقالته المعنونة بـ (**هل من فائدة من تنشئة الشعب علىٰ الخرافة؟**) ضمن كتابه (**رسالة في التسامح**) (٤): " قد يكون الجنس

---

(١) من كتابه [(**رسالة في التسامح**) ص ٥٧ ـ ترجمة منىٰ أبو سنه ـ ط/ المجلس الأعلىٰ للثقافة بمصر].

(٢) [(**الإلحاد وسبب انتشاره**) لمحمود يوسف الشوبكي (ص ٣٩٣) رسالة ماجستير ـ ط مرقومة/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة].

(٣) انظر [(**الموسوعة الفلسفية العربية**) ٢/ ١٧١ ـ مصدر سابق].

(٤) [(ص ١٥٣) ترجمة هنرييت عبودي ـ ط/ دار بترا بسوريا].

البشري من الضعف وفساد الخلق إلىٰ حَـدٍّ قد يُؤثِّـرُ معه لجمه بكل ضروب الخرافات الممكنة - بشرط ألا تكون قاتلة - علىٰ أن يعيش بلا دين ! فلطالما احتاج الإنسان إلىٰ كابح يلجمه. ومع أن تقديم القرابين إلىٰ آلهة الحقول، وربَّات الغابات، وحوريات الأنهار، قد يبدو مثيراً للسخرية؛ تبقىٰ عبادة هذه الأشكال الغريبة من الآلهة أكثر تعقلاً، وأكثر فائدة من الإلحاد. فالملحد الذي لا يفتأ يحاجج ويجادل بعنف ولجاج لا يكون أقَلَّ بلوىٰ وأَذِيَّةً من المؤمن - الدموي المنزع - بالخرافات... فحيث يقوم المجتمع؛ يغدو الدين ضرورياً. فالقوانين تسهر علىٰ ردع الجرائم المنظورة، والدين علىٰ ردع الجرائم المستورة " أهـ .

وواضح من السياق أن فيلسوف التنوير لا يريد مدح الخرافة كخرافة، ولكن للمقابلة بينها وبين الإلحاد يراها أفضل من الإلحاد، **لأن الإلحاد غير معقول، وحياة لا تُستطاع، ووجود الإنسان بدين - ولو بخرافة - خير من أن يبقىٰ ملحداً بلا دين، والهمج فقط هم مَنْ لا يعتنقون أي دين !**

حقاً؛ كم هو صادم لأرباب الإلحاد قول **فولتير** هذا؟! (١).

حسناً؛ لنقل الآن ما يستحق أن يقال: مَنِ الذي يحدد شَرِّيَّةَ شيءٍ ما ؟ هل اتفق البشر علىٰ مرجعية واحدة تحدد لهم الشيء الفلاني أنه شر، وغيره لا يدخل في الشر؟

---

(١) ولم يكن عدواً لله، إنما كان نقده للأديان التي أساءت إلىٰ الله، وبشكل رئيسي للكاثوليكية الفرنسية وآبائها، وعلَّل وجود العديد من الملحدين بسبب فسادها ونظام رهبنتها، وعَدَّهُ مسخاً للطبيعة البشرية. انظر مقالة [**(كبار فلاسفة التنوير.. هل كانوا ملاحدة ؟)** د. عائض بن سعد الدوسري ـ موقع أثارة] و [**(الموسوعة الفلسفية العربية)** ٢/ ١٧١ ـ مصدر سابق].

الجواب معروف، والاستنتاج معروف، وهو: الشر نسبي، ولا يوجد شرٌّ مطلق في الوجود.

إن هذا عين ما نريد أن يفهمه الملاحدة هداهم الله، فما ترونه شرًّا يستحيل أن يخلو من خير، علمتموه أو جهلتموه، والجهل بالشيء لا يدل على العدم، ومن القوانين العقلية: **عدم العلم لا يدل على عدم الوجود**، وإذاً؛ فعدم العلم جهل، وما يبدئ الجهل وما يعيد، قال **الإمام ابن أبي العز الحنفي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فإنه سبحانه لم يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبىٰ ذلك، فلا يمكن في جناب الحق تعالىٰ أن يريد شيئًا يكون فساداً من كل وجه، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أَبْيَنِ المحال، فإنه سبحانه الخير كله بيديه، والشر ليس إليه، بل كل ما [أضيف] إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً، فَتَأَمَّلْهُ " (١)، فالشر نسبي إضافي، أما شر كلي أو مطلق؛ فالله منزه عن ذلك سبحانه.

وقال **الإمام أبو حامد الغزَّالي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعُها شر في الظاهر؛ وفي ضمنه الخير الجزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير " (٢) .

---

(١) [(**شرح العقيدة الطحاوية**) ١/ ٣٣١ ــ ٣٣٢/ ت د. عبد الله عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط ـ ط/ مؤسسة الرسالة بلبنان].

(٢) [(**المقصد الأسنىٰ في شرح معاني أسماء الله الحسنىٰ**) ص ٦٥ ــ تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي ـ ط/ دار ابن حزم بلبنان].

أيها الـملحد: من الآن فصاعداً؛ أي شرٍّ لا ترىٰ فيه خيراً؛ فاعتقد أن فيه خيراً، وبقليل من التأمل ستدرك ذلك، فإن كان الخير خفيًا أو سيتأخر ظهوره؛ فلا تكن كالطفل يرىٰ الشر كله في إبرة الدواء وهي تُغرَزَ في وريده، ولا يرىٰ الدواء الذي فيه شفاؤه بعدها.

فيا هؤلاء تذكَّروا؛ إن الألـم الذي وقع للطفل في وريده ألـم خاص، لكنه جرَّ إلىٰ نفع عام سيستفيد منه الجسم كله، وبـهذا فاعتبروا فيما حولكم ولا تكونُنَّ من الـمتشآئمين، وتأَكَّدُوا أن الرحيم الرحمن لا يريد الشرَّ للشرِّ، ولكن لغيره، فهو أحكم الحاكمين، وهو أرحم بعباده من أنفسهم ومن الخلق أجمعين، وإلا:

لقد أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا ... وَلَكِنْ لا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِيْ
وَلَوْ نَاراً نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ ... وَلَكِنْ أَنْتَ تَنفُخُ فِي رَمَادِ

ومَنِ الـملحد الذي يجرؤ علىٰ إنكار الشرور السوداء التي صنعها منظرو وفلاسفة الإلحاد ونظرياتـهم في البشرية خلال العقود الـماضية؟

إن القول بنفي الإله بسبب وجود الشر؛ سيزيد الوجود شروراً لا نهاية لها، حيث لا معنىٰ للحياة، ولا قيمة للوجود، حيث التشاؤم الأسود، واليأس القاطع لكل أمل، وستبوء كل محاولة للـملاحدة لإيجاد معنىٰ منطقيٍّ لسؤال الشر بالفشل لوقوعهم في فَخِّ اللامنطق، وسيؤول نزعهم لفتيله إلىٰ تفجير الكون بالشرور (**الاستنساخ، الإيدز، الانتحار، القتل الرحيم، القتل الرجيم، إدمان الكحول والـمخدرات، التفكك الأسري، الرقيق الأبيض، الجريمة الـمنظمة، استغلال الأطفال في إنتاج الـمواد الإباحية، الشذوذ، إرهاب الدول والحكومات والأفراد بالحروب والحصار، ازدراء الأديان والأخلاق، العولمة الأنانية، الفوضىٰ الخلاقة، تدمير الكون**

بالخيال العلمي)، أليس كل هذا وغيره من مواليد رحم الإلحاد النجسة الموجودة اليوم !!!

ثم يأتي ملحد ويتساءل مستنكراً: لِـمَ كل هذا الألـم في العالَـم؟ لم لا يتدخل الله لإيقاف هذا الشر؟

حسنًا؛ وأنتم ماذا كنتم تفعلون طيلة عصر المادة وشروره الإلحادية التي عَمَّتِ البشر والشجر والحجر والقمر؟! ليس هذا بِعُشِّكَ فادْرُجْ، والسلام علىٰ من لا يتكلم بالهوىٰ.

قال **الإمام المحقق ابن قيِّم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" الفقيه كل الفقيه الذي يَـرُدُّ القدر بالقدر، ويدفع القدر بالقدر، ويعارض القدر بالقدر، بل لا يمكن للإنسان أن يعيش إلا بذلك، فإن الجوع والعطش والبرد وأنواع المخاوف والمحاذير هي من القدر، والخلق كلهم ساعون في دفع هذا القدر بالقدر. وهكذا مَـنْ وفقه الله وألهمه رشده يدفع قَدَرَ العقوبة الأخروية بقَدَرِ التوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهذا وِزانُ القَدَرِ المخوف في الدنيا وما يضاده سواء، فَرَبُّ الدارين واحد، وحكمته واحدة، لا يناقض بعضها بعضًا، ولا يبطل بعضها بعضًا. فهذه المسألة من أشرف المسائل لـمَنْ عرف قدرها، ورعاها حَقَّ رعايتها، والله المستعان "(١) وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما أنفس كلامه !

ولن تعدو هذه الشبهة قدرها، فليس فيها دليل عقلي مقنع، ولا برهان منطقي، ومن خلالها يريد أصحابها ربًّا بمقاسهم البشري القاصر الجهول الظلوم، وهذا

(١) [(**الداء والدواء**) ص٣١/ ت : علي بن حسن الحلبي ـ ط/ دار ابن الجوزي بالسعودية].

أمر يقع فيه الكثير، اعتماداً علىٰ النظر العقلي الظاهر الدال علىٰ عدم نضجهم الفكري، وإلا لو استُصْحِبَ الأصل وهو أن **الخالق كامل في أوصافه، حكيم في أفعاله**؛ لما بقي لهذا الخاطر الشيطاني الأصل مكان في النفس، وقد لَخَّصَ **الإمام أبو الفرج ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الأمر بعد أن ذكر ما يجري للبشر من الآلام والحروب والأمراض والمجاعات، بل والعقوبات علىٰ الذنوب والاعتراض عليها، واستنكار العقل لها لعدم ظهور الحكمة فيها، فأجاب مبيناً سبب ذلك فقال: " والسبب ما ذكرنا؛ وهو الأنس بنظر العقل في البديهة والعادات، والقياس علىٰ أفعال المخلوقين، ولو استخرجوا علم العقل الباطن، وهو أنه قد ثبت الكمال للخالق، وانتفت عنه النقائض، وعلم أنه حكيم لا يعبث، لبقي التسليم لِمَا لا يعقل " ثم قال: " واعتبِرْ هذا بحال الخضر وموسىٰ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ، لَمَّا فعل الخضر أشياء تخرج عن العادات؛ أنكر موسىٰ، ونسي إعلامه له: بأني أنظر فيما لا تعلمه من العواقب. **فإذا خَفِيَتْ مصلحة العواقب علىٰ موسىٰ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ **مع مخلوق؛ فأولىٰ أن يخفىٰ علينا كثير من حكمة الحكيم.**

وهذا أصل إن لم يثبت عند الإنسان أخرجه إلىٰ الاعتراض والكفر، وإن ثبت استراح عند نزول كل آفة " (١).

كم هي الشرور التي هي من فعل الإنسان وكسب يده؟! فما علاقة هذا بوجود الله؟ وكون أن الله يرىٰ هذا الشر؛ فهذا معناه أنه ترك للإنسان حرية فعل الخير والشر **(الإرادة الحرة)**، وهذا بحَدِّ ذاته نعمة إلهية، فحرية الإرادة لا تكون إلا بممارسة

---

(١) [**(صيد الخاطر)** ص ٣٨٧ بعناية : حسن المساحي سويدان ـ ط/ دار القلم بسوريا].

الخير أو الشر غير مُكرَهٍ علىٰ أحدهما أو كليهما، وبذا يصير وجود الشر شرطًا لنعمة الإرادة الحرة وممارستها كما قال الفيلسوف الأمريكي **ألفن بلانتنجا** (١)، وسيكون وجود عَالَمٍ يُمارِسُ فيه الإنسان حريته في الخير والشر أكثر قيمة واستحقاقًا للعيش من عَالَمٍ لا يمارس فيه حريته فيهما.

وعِلْمُ الله السابق بوقوع الشر وجعله ممكن الحدوث لا يتعارض مع هذه الحرية، غاية ما في الأمر أن الله يعلم من قبلُ ما سيختاره الإنسان بمحض إرادته وحريته، وممارسته الشَرَّ عمليًا، فسماحه له سماح بالحرية، وليس الشر إلا من مفعولاتها، فالله بهذا المفهوم ليس مسؤولاً عن الشر، ولا يريد التدخل لمنعه وإزالته، وإلا سيكون في منع الشر إلغاءً لحرية الإنسان، وسلبًا للإرادة، وجبرًا علىٰ الاختيار، ونكون حينئذٍ بشراً غير حقيقيين، بل آليين مُبَرْمَجِينَ، وهو ما يتنزه عنه الرب الحكيم سبحانه (٢).

وهذا مثله كمثل شركةِ سياراتٍ عالميةٍ، تعرض إنتاجها الجديد من السيارات، ومع كل سيارة مُعَرِّفٌ وَرَقِيٌّ مُصَوَّرٌ (كتالوج) عن مميزات السيارة، وتعليمات يجب علىٰ السائق اتباعها، وخيارات تشغيلها، وما هي الأعطال المحتملة التي تخالف هذه التعليمات؟ فهل الشركة مسؤولة عن العطل الذي سيقع فيه سائق السيارة؟ هل علمها السابق بالعطل يبيح للسائق أن يُحَمِّلَها جَبْرَهُ - كما يزعم - علىٰ الوقوع فيه؟ هل يحق له أن يقول: هذا خلل كبير، وعطل شَرُّهُ مستطير، أيُّ شركة هذه؟ هذه

---

(١) انظر [(**إشكالية الشر والثيوديسيا عند مفكري الإسلام وفلاسفة الغرب**) ص ١١٣٠ - مصدر سابق].

(٢) وانظر [(**من صنع الله ؟**) د. رافي زكارايوس (ص ٤٠ ـ ٤١) ـ ط/ دار منهل الحياة بلبنان].

الشركة لا تستحق أن يُعتَرَفَ بـها، بل لا وجود لها مع هذا الشر الخطير ! فهل عاقل يقول هذا ؟! ولو أنه التزم بتعليمات الشركة لَـمَا قال ما قال، ولَـمَا وقع في هذا الشـر الذي جناه علىٰ نفسه وعلىٰ الآخرين، ويريد أن يُـحَـمِّـلَ الشركةَ تَـبِعَةَ وُجُودِهِ !

وإذا صَحَّ التعبير؛ فكتاب الله الـمنظور بآياته الـمجلوة (الكون) وهو عالم الخلق، وكتابه الـمسطور بآياته الـمتلوة (القرآن) وهو عالـم الأمر؛ هما (كتالوج) الإنسان في الحياة.

إن الـملاحدة بـشبهتهم هذه يريدون أن يُـبَـرِّؤوا أنفسهم من الشرور والآثام التي يرتكبونـها بأن الله هو الذي أجبرهم عليها وهو الـمسؤول عنهـا، وإلا فلـيكن منفيـاً غير موجود، ولنعمل بعدُ ما نشاء، فلا حسيب ولا رقيب؟!

هذا أحد تعليلات ما تُـكِـنُّـه صدورهم من كِـبْـرٍ يصـدهم عـن الإيــمان بـالله، وطاعته فيما أَمَرَ، وترك ما نَـهَىٰ عنه وَزَجَرَ، والله الخالق الحكيم سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ (غافر:٥٦) فما هو إلا جدال بغير علم، وعناد وتشغيب ليس وراءه طائل .

وها هو أحد أعمدة الإلحاد الفيلسوف الإنجليزي الشهير **برتراند رَسِّل** ! يخبر عن نفسه أنه ليس جاداً ولا مخلصاً ولا صادقاً في ادعائه أن ما عليه العالم من شرور هـو سبب رفضه لفكرة وجود الله؛ إن الأمر كما يقول هو عنه: " مَرَدُّ هذا من غير شك إلىٰ ضعف الشعور الديني لَدَيَّ " (١).

(١) كما في [(تسونامي ومشكلة الشر والنجاة من البلاء) ـ مصدر سابق].

وصفة الكِبْر التي عليها الملحدون قادتهم إلى أمور [(١)]، منها:

١- التكذيب بالحق لجهلهم به كما قال ربنا سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ (يونس: ٣٩) ومَنْ جهل شيئًا كَذَّبَ به وعاداه.

٢- الإعراض عن الحق مع وضوحه لكل أحد كما قال جَلَّ قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤٦﴾ (يس: ٤٦).

٣- الاغترار بما عندهم من العلوم الظاهرة والفرح بها اكتفاءً عن غيرها كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣﴾ (غافر: ٨٣).

٤- المجادلة بالباطل لدحض الحق البَيِّنِ الواضح ورَدِّهِ كما قال عَزَّ أمره: ﴿وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ (غافر: ٥).

٥- صدُّ الناس عن سبيل الله وتشويهها حتىٰ لا يسلكها أحد كما قال ربُّ العزة سبحانه عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ۝٤٥﴾ (الأعراف: ٤٥).

وإذا أَمْعَنَّا النظر في إشكالات الملحدين فسنجد أن هناك فجوة تفسيرية لدىٰ الملحدين لم يستطيعوا مَلْأَهَا بما يناسب، فذهبوا إلىٰ الإنكار المطلق !!! فهل حُلَّتِ المشكلة التي تَوَهَّمُوهَا بهذا ؟! إن إنكارهم لوجود الله لم ولن يغير من الأمر شيئًا.

---

(١) انظر [(**الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته**) د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي (ص ٢٥ – ٢٦) ط/ دار اللؤلؤة بلبنان ـ مع تصرف وزيادة].

هل أوجدوا بذلك البديل الصحيح لـمشكلة الشر؟ أم هو عجز التفكير عن الإجابة الصحيحة فكان الإلحاد الأسود الـمتشائم؟ ما الذي نتوقعه من فلسفة التشاؤم التي ينظر أصحابها بعين واحدة لا ترىٰ إلا الشرَّ وتغالي فيه وتسيء فهمه ؟

إن الإنسان لن يستطيع فهم أقدار الله في الحياة وتقلباتها كلها بـمعاييره العقلية البشرية، لأنها بطبيعتها أكبر من مستوىٰ العقل البشري، وأوسع من الـمجال الذي يعمل فيه العقل البشري.

فإدراك أسباب ما في الوجود بجميع تفاصيلها يقتضي أن يكون الإنسان إلهـًا، ولن يكون الإنسان إلهـًا، وهذا أمر بدهي واقعي، لا بد للإنسان أن يُسَلِّمَ به أولاً، ويُسَلِّمَ بـمقتضياته ثانيًا، وليس له بعد ذا تنقيح أقدار الله وتحريرها لصرفها عما وُجِدَتْ له، أو تكذيبها وَرَدَّهَا، وإنما الشأن أن يُحسِنَ فهم أقدار الله بقدر ما يستبين به الحِكَمَ والـمقاصد التي ضَمَّنَهَا الرب الحكيم أقداره، ولله دَرُّ القائل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيم
وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذْهَانُ مِنْهُ ... عَلَىٰ قَدْرِ الْقَرَائِحِ وَالْفُهُوم

قال **الإمام ابن قَيِّم الجوزية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما اتهم أحدٌ دليلاً للدِّينِ إلا وكان الـمُتَّهِمُ هو الفاسدَ الذهنِ، الـمأفونَ في عقله وذهنه، فالآفة من الذهن العليل، لا في نفس الدليل، وإذا رأيت من أدلة الدِّينِ ما يُشكِلُ عليك، ويَنْبُو فهمك عنه؛ فاعلم أنه لعظمته وشرفه استعصىٰ عليك، وأن تحته كنزاً من كنوز العلم، ولم تُؤْتَ مفتاحه بعد " (١).

(١) [**(مدارج السالكين)** ٢/ ٢٧٣ ـ مصدر سابق].

وفي أحداث قصة موسىٰ مع **الخضر** عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ المقصوصة في سورة الكهف (من آية ٦٠ – ٨٢) أمثلة تُعَرِّفُ الإنسانَ الحِكَمَ المُغَيَّبَةَ من الأقدار الإلهية الجارية علىٰ الحياة والأحياء، التي ظاهرها شرٌّ وباطنها خيرٌ مع مخالفتها للمنطق العقلي، وجريانها علىٰ وجود الشيء ونقيضه المثير للاستنكار !! وخلاصتها في قول **الخضر** لموسىٰ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾ **(الكهف:٦٨)** وكيف استنكر **موسىٰ** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ما يحدث، والذي هو في الحقيقة يحكي حالنا مع الأقدار المؤلمة التي نراها شراً، فهو يعبِّر عن أفكار البشر كلهم، ويعيش بنفس التساؤلات التي تعتري سائر البشر.

والقصة بفصولها الثلاثة: (خرق السفينة - قتل الغلام - ترميم جدار اليتيمين) تدور على ثلاثة محاور مركزية، هي:

١- **أيها الإنسان**: لا تَسْتَنكِرْ أقدار الله المؤلمة المكروهة، لأنك لا تستطيع إدراك خفاياها، فهي أكبر من عقلك، وأوسع من نظرك.

٢- **أيها الإنسان**: تَعَلَّمْ كيف تواجه أقدار الله المؤلمة المكروهة (الشر)؟

٣- **أيها الإنسان**: كُنْ علىٰ يقين بحتمية وجود خير مع كل شر وإن بدا ظاهره مؤلماً.

وبديل ذلك كله: الوقوع في ضلالة الإلحاد العمياء !!!

وخلاصة الخلاصة: في قول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦﴾ **(البقرة: ٢١٦)**.

فَكُلُّ شَرٍّ لا بُدَّ له من خير يقابله، كما أن كل خير فلا بُدَّ من شر يقابله، فهما كالعملة المعدنية لها وجهان، فكما لا يمكن رؤيتهما في وقت واحد؛ فكذلك لا يمكن رؤية الشر والخير في آن واحد، فنحن لا نرىٰ الصورة كاملة، نرىٰ جُزءَ الشر، ويخفىٰ علينا جُزءُ الخير الكامن وراءه، وكما لا يُتَصَوَّرُ وجودُ عملةٍ بوجهٍ واحدٍ؛ فكذلك لا يُتَصَوَّرُ وجودُ حياةٍ بدون شر، قال **أندرو كونواي إيفي** أستاذ الفسيولوجيا ورئيس قسم العلوم الإكلينيكية بكلية الطب بجامعة شيكاغو في كتابه **(وجود الله حقيقة مطلقة)**: " فالإنسان يستطيع إذا شاء - بخداع نفسه - أن ينكر وجود الله، وعليه أن يتحمل النتائج. ومعظم الملحدين والمارقين من الأديان ينظرون إلىٰ الله كما لو كان بشراً يمكن التعامل معه تعامل الأنداد فيقولون مثلاً: سوف أعتقد بوجود الله إذا شفاني من مرضي، أو إذا أنزل المطر، وإذا قضىٰ حاجتي، أو إذا أوقف الفيضان، أو إذا محا الشر والظلم من الكون.. الخ، وقد يقول بعضهم: إذا كان هنالك إله عادل ما أصابني وجع في أسناني، ومعنىٰ ذلك بعبارة أخرىٰ: إنني أؤمن بالله إذا بنىٰ الكون، أو عَدَّلَهُ تبعًا لخطَّتي الخاصة التي تقوم علىٰ الأنانية، وتبعًا لصالحي الشخصي "(١).

إن تلك العقول عقول مقفصة في عالم ضيق، محتاجة إلىٰ كثير من النضج والتحرر كي تفكر بشكل سليم، وتمارس إنسانيتها ممارسةً طبيعيةً.

---

(١) كما في كتاب [(**الله يتجلىٰ في عصر العلم**) لنخبة من العلماء الأمريكيين (ص ١٥١ ـ ١٥٢) أشرف علىٰ تحريره : جون كلوفر مونسيما ـ ترجمة : د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ـ راجعه وعلق عليه : د. محمد جمال الدين الفندي ـ ط/ دار القلم بلبنان].

لهذا؛ كان تصوراً خاطئًا بالغ الخطأ جعلُ الحياة الدنيا هي الغاية، بحيث يكون كل خير فيها مصدراً للسعادة الأبدية، وكل شر مصدراً للشقاء الأبدي، إن هذا فوق أنه تصور شخصاني فهو أناني، ويُفقِدُ صاحبه التصور الصحيح للحياة الدنيا التي جعلها الله الخالق الحكيم وسيلة ومزرعة للآخرة دار القرار، إذ يجعله ينظر إلىٰ الدنيا كما هي؛ بدلاً من أن ينظر إليها كما ينبغي أن تكون، ويُنسِيهِ في نفس الوقت أن الخير والشر نسبيان مع معاينته لذلك بنفسه، فما تراه خيراً قد يراه غيرك شراً، وكذلك الشر، فقد يكون شراً عندي وليس كذلك عند غيري. فمثلاً ترىٰ قرارك بالزواج من فلانة خيراً، ولكنَّ أباك بنظرته الثاقبة ومعرفته بـمعادن الناس وخبرته بتصاريف الحياة يرىٰ هذا الزواج غير مناسب لك، وسيؤول إلىٰ شر لا تُحمَد عقباه، والأمثلة من واقع الحياة كثيرة جداً.

فإذا كان هذا في قانون البشر؛ فما الظن برب البشر الذي قال عن نفسه جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ **(الأنعام:١٠١)** أي عموم العلم، وإحاطته بكل ما يتعلق بالـمخلوقات.

ومَنْ نفىٰ وجود الله فلينفِ وجود نفسه، بل الوجود كله ولا بُدَّ، إذ كيف يُتَصَوَّرُ وجود بدون مُوْجِدٍ؟ هذا هو الجنون الذي ما بعده جنون، بل هو أَشَدُّ، لأنه طغيان غير مقبول ولا معقول، قال الله الخالق الحكيم عَزَّوَجَلَّ عن عقول هؤلاء: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٣٢﴾ **(الطور:٣٢)**، فالعقول السليمة لا تأمر بهذا، ولا تدعو إليه، ولا يَرِدُ عليها هذا الوارد أبداً، **لأن العقل يحكم بضرورة وجود مُوْجِدٍ لهذا الوجود، وأنه متصف بالكمال الـمطلق ولا بُدَّ، وأن منه وإليه يرجع كل شيء**، وهذا من الـمُسَلَّمَات العقلية البدهية التي لا تحتاج إلىٰ نظر ولا استدلال، لأنها

صحيحة بذاتها، ويجدها كل إنسان في نفسه ضرورة، قال **الإمام أبو محمد ابن حزم الأندلسي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " ما كان مدرَكًا بأول العقل وبالحس؛ فليس عليه استدلال أصلاً " [١]، **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " إن كثيراً من العلوم تكون ضرورية فطرية، فإذا طلب المستدِلُّ أن يستدل عليها خفيت ووقع فيها شك " [٢]

وحَسْبُ الإنسان أن يَعِيَ أنه جزءٌ من كُلٍّ، وهو هذا الكون الفسيح السائرة أجزاؤه علىٰ نظام دقيق، وقانون مُطَّرِد، وهذا يوجب عليه أن يراعي منظومة الكل والانسجام معها، وأما جهله بخبايا وأسرار التقدير الإلهي فيها فلا يبيح له شطب خطوط مسيرة الكل، ورفض نظامها متىٰ رآه لم ينسجم مع هواه، فَثَمَّ الشعور بالشقاء، والوقوع في ضلالة الشر المأفوكة.

أَلَا يمارس بعض العلماء الملحدين في المعامل والمختبرات شراً كثيراً علىٰ فئران التجارب ليكشفوا عن حقيقة علمية، أو يبرهنوا علىٰ ظاهرة من الظواهر؟! فلم لا تعترض الفئران وتصيح وتقول: **هذا شر؟**

فمَنْ أعقل؛ آلفئران أم علماء الفئران؟

إن الخير والشر أمران لا يعرف أحدهما إلا بمعرفة الآخر، وكم في الشر من خير؟! وما أعقل القائل حينما قال:

جَزَىٰ اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيرٍ ... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي
وَمَا شُكْرِي لَهَا إِلَّا لِأَنِّي ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيْقِي

---

(١) [(**الفصل في الملل والأهواء والنحل**) ٥/ ٦٨ ـ مكتبة الخانجي بمصر].

(٢) [(**درء تعارض العقل والنقل**) ٣/ ٣١٩ ـ مصدر سابق].

وهنا يظهر الكمال الإلهي، إيجاد الخير ونقيضه، ووجود أحدهما دون الآخر نقص واضح، وملل لا يطاق.

والفروض العقلية بين وجود الخير والشر في العالم أربعة، نجملها في التالي:

١) عالم لا خير فيه ولا شر.

٢) عالم فيه خير وشر.

٣) عالم فيه خير محض.

٤) عالم فيه شر محض.

والآن؛ أين ما يمكن أن يتقبله العقل البشري من هذه العوالم الأربعة؟

العالم الأول والثالث والرابع غير مقبولة، فالأول عدم، ولا يمكن تصوره في الذهن، أما الثالث الذي هو عالم الخير المحض فعالم يجعلنا مسلوبي الإرادة والاختيار والحرية، ميتي الضمير، ومثله العالم الرابع، وكلاهما نقص بَيِّنٌ، وتصورهما أصعب جداً من عالم فيه خير وشر، ولم يبقَ إلا عالم الخير والشر، ففيه تكتمل الصورة، وقيمته الوجودية مستساغة العيش، وهو الأوفق ببني آدم الذين ميزهم الله بالعقل، ومَكَّنَ لهم حرية الاختيار.

ولا ينسينا ونحن نخلص إلىٰ هذا القول التأكيد علىٰ أن عالمنا الذي فيه خير وشر؛ هو في الحقيقة أكثر خيراً من شره عكس ما يقوله الملاحدة المتشائمون.

هل يمكن أن يوجد معنى حقيقي لشيء لا يوجد له ضد؟

إن الإنسان لن يعرف قيمة الصحة إلا إذا غَشِيَهُ المرض، ولا نعمة الأمن إلا إذا فقدها، ولا الشبع إلا إذا جاع، ولا الحلاوة إلا بالمرارة، ولا الغنىٰ إلا إذا افتقر، ولا النجاح إلا بالفشل، ولا النظام إلا إذا انقلبت حياته إلىٰ فوضىٰ، ولا الخير إلا بالشر، وبالإيمان بالله سيريح الإنسان نفسه من عناء: لِمَ؟ وكيف؟ لأنه سيقول: لله في ذلك حِكَمٌ خفية، وغايات حميدة، ومصالح باطنة، والله الخالق الحكيم يقول: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (النحل:٧٤)، وهي آية تشرح الصدر، وتُطَمْئِنُ القلب، وتريح النفس.

فَلْتَهْدَأْ أيها الإنسان، وقل في خشوع وخضوع: اللهم رَضِّنِي بقضائك، وبارك لي في قدرك.

قال الإمام ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ اللَّهُ: " فتبارك الذي من كمال حكمته وقدرته أن أخرج الأضداد من أضدادها، والأشياء من خلافها، فأخرج الحي من الميت والميت من الحي، والرطب من اليابس، واليابس من الرطب، فكذلك أنشأ اللذات من الآلام، والآلام من اللذات، فأعظم اللذات ثمرات الآلام ونتائجها، وأعظم الآلام ثمرات اللذات ونتائجها. وبعد؛ فاللذة والسرور والخير والنعم والعافية والمصلحة والرحمة في هذه الدار المملوءة بالمحن والبلاء أكثر من أضدادها بأضعاف مضاعفة " (١).

---

(١) [(شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) ص ٤١٤ ــ ط/ دار الكتب العلمية بلبنان].

وقد روىٰ ابن ماجه (٤٠٢٤) وصححه العلامة الألباني [(١)] عن **أبي سعيد الخدري** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: دخلتُ علىٰ **النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو يُوعَكُ، فوضعتُ يَدَيَّ عليه، فوجدتُ حَرَّهُ بين يَدَيَّ فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله ! ما أشدها عليك ! قال: «**إِنَّا كَذَلِكَ، يُضَعَّفُ لَنَا الْبَلَاءُ، وَيُضَعَّفُ لَنَا الْأَجْرُ**». قلت: يا رسول الله ! أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الْأَنْبِيَاءُ**». قلت: يا رسول الله ! ثم مَنْ؟ قال: «**ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَىٰ بِالْفَقْرِ حَتَّىٰ مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يُحَوِّيهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ**». وهو واضح في أن في الشر خيراً لا يدركه ولا يرضىٰ به إلا أهل الإيمان.

كم في الكون من آيات منظورة؟ وكم في الحياة من أمثال مضروبة؟ فأين العقول التي تعيها؟ فالأمر كما قال العليم الحكيم سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ **(العنكبوت:٤٣)**، فالكل يسمع ويرىٰ، ولكن مَنْ الذي يعقل؟ إنهم العقلاء الحية قلوبهم، التي تبصر قبل الأعين، وتسمع قبل الآذان كما قال الله الخالق الحكيم جَلَّجَلَالُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ **(الحج:٤٦)** فأيُّ قيمة لإنسان لا يعقل ولا يريد أن يعقل؟! وهل حيٌّ مَنْ مات قلبه؟! فكيف إذا تكبَّرَ فَسَخِرَ واستهزأ؟

أتدرون مَنِ العالِمُ؟ إنه مَنْ عَقَلَ عن الله ما يريد، ومَنْ لم يعقل فليس بعالم، ولو دار اسمه بين عناوين الكتب وبحوث المؤتمرات، وحَصَّلَ أعلىٰ الشهادات، وتَبَوَّأَ

---

(١) [(**السلسلة الصحيحة**) برقم ١٤٤ ـ مصدر سابق].

المناصب الرفيعات، وفاز بالجوائز والصلات، ففي الآخرة يقول أصحاب النار وهم فيها يعذبون: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ (الملك:١٠-١١)، فتمنَّوا أنْ لو كان معهم عقل وسمع، ولم تُغْنِ عنهم شهاداتهم وعلومهم من عذاب الله من شيء.

لقد كانت حياتهم، فلسفاتهم، نظرياتهم، أبحاثهم، كتبهم، مؤتمراتهم، محاضراتهم، ومناظراتهم ذنوبًا اقترفوها باسم العلم والمعرفة، وكابروا وعاندوا لأجلها وماتوا علىٰ ذلك، ولكن سيعترفون بها هناك، وسيقرون بأنها ذنوب يستحقون بها عذاب السعير، وسُحقًا لأصحاب السعير.

وهذه الآية فَرَّقَتْ بين الذكاء والعقل، فليس كل ذكيٍّ عاقلاً، وكم في النار من أذكياء حَصَّلُوا علومًا وشهاداتٍ ولكن فاتَهُمُ الفهم؟ نعم؛ كانوا أذكياء ولكن بلا زكاء فعاشوا في الوهم.

وليس بعجب أن يربط القرآن الكريم بين العقل والإيمان، فكل مؤمن عاقل، ولا بد أن يكون كل عاقل مؤمنًا، فإن لم يؤمن فليس بعاقل، تأملوا قول الخالق الحكيم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾﴾ (الزمر:٩)، وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر:١٧-١٨)، وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾﴾ (الطلاق:١٠).

ويقابله انتفاء العقل مع وجود الكفر الذي لا يهتدي أصحابه وإن كانوا أصحاب علوم ومعارف، فإذا انتفىٰ العقل انتفىٰ الإيمان، نعم؛ فلا إيمان لمن لا عقل له،

قال الله الخالق الحكيم مؤكداً هذه الحقيقة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (البقرة : ١٧٠-١٧١) وقال أصدق القائلين سبحانه: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ (الفرقان : ٤٤) (١)، وقال جلَّ أمره: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (يونس : ١٠٠) قال **العلامة ابن عاشور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " والمعنىٰ: ويوقع الكفر علىٰ الذين لا يعقلون، والمراد نفي العقل المستقيم، أي الذين لا تهتدي عقولهم إلىٰ إدراك الحق، ولا يستعملون عقولهم بالنظر في الأدلة " (٢)، وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " فالرسل تبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وعليهم أن يبلغوا الناس البلاغ المبين، والمطلوب من الناس أن يعقلوا ما بلغه الرسل، والعقل يتضمن العلم والعمل، فمَنْ عرف الخير والشر؛ فلم يتبع الخير ويحذر الشر لم يكن عاقلاً. ولهذا لا يُعَدُّ عاقلاً إلا مَنْ فعل ما ينفعه، واجتنب ما يضره " (٣)

فاعتبروا يا أولي الألباب.

---

(١) وانظر [(**الاستدلال القرآني ضروري لدارسي المنطق**) ص ٦٠١ ـ مصدر سابق].

(٢) [(**التحرير والتنوير**) ١١/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ـ مصدر سابق].

(٣) [(**مجموع الفتاوىٰ**) ١٥/ ١٠٨].

وقال **ديكارت** الفيلسوف: " ليس علم الملحد علمـًا حقـًا، لأن المعرفة المشوبة بالشبهة؛ لا يحق لها أن تسمىٰ علمـًا " (١).

إن مشكلة الشر التي أرهقت عقول الـملحدين لها حل أسوة بكل مشكلة داخلة في صميم الوجود الإنساني، وحيث إن كل مشكلة لها منهج من البحث يناسبها؛ فستنتهي مشكلة الشر إذا عرف الـملحدون جواب أسئلة الوجود الكبرىٰ، وهي :

لـماذا خلق الله هذه الحياة؟ ولـماذا نحن فيها؟ من الذي أوجدنا دون إرادتنا؟ وكيف ومن أين جئنا ؟ وإلىٰ أين نصير؟ لـماذا نموت ؟ ولـماذا لا يعود مَنْ يموت؟ وهل هناك حياة بعد الـموت؟ وما مصير الناس بعدها ؟

هذه الأسئلة لا غنىٰ للإنسان أن يدرسها ويُـمَحِّصَها لأنـها داخلة في صميم وجوده، وإنا لنجد الناس يختلفون في قضايا كثيرة وتتباين أقوالهم تباينـًا كبيراً، منها ما هو فلسفي وعلمي وسياسي واجتماعي وغيرها، وهي بلا شك دون قضايا الوجود الكبرىٰ التي لو ترك الجواب فيها للبشر لتباينت إجاباتـهم كتلك بل أشد، ولعجزوا – بسبب ذلك – عن الوصول إلىٰ الجواب الصحيح الذي يحدد غاية الحياة ولـماذا خلقوا ؟ فكان من الـمنطقي أن يتولىٰ الله خالقهم بيان ذلك ببيانٍ شافٍ كافٍ، يتوافق مع خلقتهم والحياة التي أُوجِدُوا فيها.

وهنا يفترق الـمؤمن عن الـملحد، فالـمؤمن – وهو يعترف بجهله إزاءها والتطلع إلىٰ حلها – يتلقىٰ الـمعرفة والتوجيه فيها عن الله مُسَلِّمـًا به متبعـًا له = الوحي.

---

(١) [(موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة الـمرسلين) ٢/ ١٣٠ ح ١ – مصدر سابق].

وأما الملحد - وهو يعترف بجهله إزاءها، والتطلع إلىٰ حلها - فلا يقبل بهذا الوحي، ولا يرضىٰ بتلقيه واتباعه، ويذهب يبتدع معرفة وتوجيهًا لها من غير طريق الله ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ (النجم:٢٣)[١]

فهاكم بيانها:

١) بيَّنَ الله خَلْقَ الكون والحياة وأنه لحكمة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ (الدخان:٣٨-٣٩)

٢) وبيَّنَ أن الحياة وإن طالت بها الآماد فهي لأجل مسمىٰ ينتهي بيوم القيامة فقال: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الأحقاف:٣).

٣) وبيَّنَ أصل خِلْقَتِنَا من أي شيء هو؟ فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ (السجدة:٧)

٤) وبيَّنَ كيف خَلَقَنَا بعد طور الطين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ (الحج: ٥) وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (النساء:١)

---

(١) انظر [(الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية) ص ٣٣ ـ مصدر سابق].

٥) وبيَّنَ بلفظٍ صريحِ الغايةَ من خَلْقِنَا، وهو القيام بعبادته سبحانه فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: ٥٦)

٦) وبيَّنَ أن وجودنا ليس صدفة تلد العبث فقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ (المؤمنون: ١١٥-١١٦)، ولم نوجد في الحياة لنُترَكَ سُدىً فلا نُؤمَر ولا نُنهَىٰ فقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ (القيامة: ٣٦)

٧) وبيَّنَ ما الذي يريده منا في هذه الحياة؟ فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (الملك: ١-٢)

٨) وبيَّنَ أن وجودنا في الحياة معرض للابتلاء فقال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (البقرة: ١٥٥)

٩) وبيَّنَ أن هذا الابتلاء عام في جميع الناس مؤمنهم وكافرهم فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ ...﴾ (البقرة: ٢١٤) وقال: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ (العنكبوت: ١-٣)

١٠) وبيَّنَ أن الابتلاء يكون بالخير وبالشر أيضاً فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الأنبياء: ٣٥) فلا مناص من وجود الشر، والغاية من وجوده واضحة، وأنه اختبار لا يُرادُ لذاته بل لغيره، فهل وعيتم ذلك؟

١١) وبَيَّنَ أن الموت حقيقة حتمية تنتظر كل مخلوق حي فقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ (الرحمن:٢٦) وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (القصص:٨٨) وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (العنكبوت:٥٧)

١٢) وبَيَّنَ أن بعد الموت حياةً سيقضيها الإنسان في برزخ بين الدنيا والآخرة قبل البعث والنشور فقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المؤمنون:٩٩-١٠٠)

١٣) وبَيَّنَ أنه سيحيي الناس بعد موتهم من قبورهم، ويبعثهم بعد انقضاء مُدَدِ بقائهم فيها فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ (الحج:٦-٧)، وقال: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ (التغابن:٧)

١٤) وبَيَّنَ أنه لن يغيب عن لقاء الله يوم القيامة أحد في السماوات والأرض أبداً فقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ (مريم:٩٣-٩٥)

١٥) وبَيَّنَ أنه سيحاسبهم على ما عملوا في الدنيا فقال: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ (الغاشية: ٢٥-٢٦) وقال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ (الكهف:٤٧-٤٨)

١٦) وبَـيَّنَ أن كل ما عملوه فهو مسجل عليهم، لكل واحد منهم كتاب فيه كل ما كسب من خير واكتسب من شر في الدنيا فقال: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ (آل عمران:٣٠) ، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ (الإسراء:١٣-١٤)

١٧) وبَـيَّنَ أن الناس بعد الحساب سينقسمون إلىٰ فريقين فقال: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ (الشورى:٧) فمَنْ آمن وأحسن عمله أدخله الله الجنة يتنعم فيها في حياة أبدية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (يونس:٢٦). وأما مَنْ كفر وأساء عمله أدخله الله نار جهنم يُعذَّب فيها في حياة أبدية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (يونس:٢٧)

فاطمئنوا أيها الـملاحدة، هذه أجوبة أسئلة الوجود الكبرىٰ، ولا تذهب بكم الظنون بَـدَداً، ولا تجيبوا كما يحلو لكم، فنحن وأنتم خلقنا لغاية، ولسنا هنا سدىٰ، ولم نخلق عبثًا، يقول الخالق الحكيم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (القيامة:٣٦-٤٠).

تَرجُــو البَقَــاءَ بِـدَارٍ لا ثَبَـاتَ لَهَــا فَهَـلْ سَـمِعْتَ بِظِـلٍّ غَيـرِ مُنتَقِـلِ
قَـدْ هَيَّئُـوكَ لِأَمْـرٍ لَـوْ فَطِنْـتَ لَـهُ فَارْبَـأْ بِنَفْسِـكَ أَنْ تَرْعَـىٰ مَـعَ الهَمَـلِ

بقي أمر مهم في سؤال الشر كان ينبغي السؤال عنه قبل سؤال الشر نفسه، وهو:

ما سبب وجود الشر؟ ما الهدف من وجوده؟

التساؤل بهذا السؤال أمر غير مستغرب، ويكاد يكون مطبقًا بين البشر، ويعتلج في نفوسهم كغيره من الأسئلة بحثًا عن الحقيقة، وأخصر عبارة للجواب علىٰ هذا السؤال:

لا تعب لا فوز ... لا ألم لا ربح ... لا محنة لا منحة ... لا شر لا خير

فَالضِّـدُّ يُظْهِـرُ حُسْـنَهُ الضِّـدُّ وَبِضِـدِّهَا تَتَبَـيَّنُ الأَشْـيَاءُ

ومِـمَّا يجدر التذكير به في ختام جواب هذه الشبهة؛ أن هناك علاقة وثيقة بين مسألة الشر هذه وما عاناه الناس قديمًا في الغرب من تسلط الكنيسة الأوروبية التي جعلت كلمة الـمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الـمفتراة عليه: **" ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا "** سيفًا تستبيح به دَمَ كُلِّ مَنْ خالفها، حيث شَرَّعَت القتل بأنواعه عرقيًا كان أو دينيًا، وما تبع ذلك من حروب دينية، وصراعات طائفية عقيمة، مارست الوحشية والعنف، وكذا ما قام به رجال الدين الكنسي اللاهوتيون من تحريم العلم، وتجريم العلماء، وحرق الكتب والبشر، وإقامة محاكم التفتيش، وتوزيع صكوك الغفران، وفرض عقائد التثليث والفداء والصَّلْبِ، تناقض العقل والـمنطق، وتصادم العلم والـمعرفة، وتصف الإله بالشر(١) نُسِبَتْ علىٰ أنها كلمات الرب لشعبه! وهو ما أثار حمية كثير

---

(١) انظر [(**مشكلة الشر ووجود الله**) د. سامي عامري (ص ٨٨ - ٩١) ط/ مركز تكوين للدراسات والأبحاث ببريطانيا] تحت عنوان: (**التوراة أصل اعتراضات الفلاسفة الغربيين**) فقد نقل نصوصًا من توراتهم الـمحرَّفة تصف الله بالظلم والشر، فتصور الأوروبيون خالق الكون شريراً ظالـمًا يحب القتل وإسالة الدماء وسلب االأموال !! سبحانه وتعالىٰ عما يقولون علواً عظيمًا.

من متنوري أوروبا ومفكريها وعلمائها الذين رفضوا هذه الشرور والبلايا التي مورست باسم الدين والإله من هول ما رأوا من فظاعتها، وجنون عبثها، إلىٰ أن تطور الأمر إلىٰ إنكار الإله والدِّينِ المنسوبة إليه كل هذه الشرور !!! فالأمر يرتبط بالشر الذي مارسه رجال الدين الكنسي باسم الإله، لا إلىٰ وجود الله عَزَّوَجَلَّ، فتعالىٰ الله عن إفك هؤلاء وافترائهم، وجحد أولئكم وإلحادهم.

إن سوء ما آلت إليه شرائع كنائسهم المتشددة، وممارسات لاهُوْتِيِّيْهَا الإجرامية لا يلزم المسلمين ودينهم البَتَّة، لأن الإسلام بعقائده وتشريعاته يخالف تمام المخالفة موقفهم من الإله والدين والعلم، قال الوزير الفرنسي الأسبق المستشرق **لويس سيديو** في كتابه (خلاصة تاريخ العرب): " لم يشهد المجتمع الإسلامي ما شهدته أوروبا من تحجر العقل، وشل التفكير، وجدب الروح، ومحاربة العلم والعلماء، وإنزال أقسىٰ العقوبات بالمفكرين، ويذكر التاريخ أن اثنين وثلاثين ألف عالم قد أُحرقوا أحياء ! ولا جدال في أن تاريخ الإسلام لم يعرف هذا الاضطهاد الشنيع لحرية الفكر والعلم الذي عرفته أوروبا. لقد كان المسلمون منفردين بالعلم في تلك العصور المظلمة، ولم يحدث أن انفرد دين بالسلطة، ومنح مخالفيه في العقيدة كل أسباب الحرية كما فعل الإسلام " (١).

وعليه؛ فالكنيسة هي المسؤولة عن جعل العلم بديلاً عن الدين وعدواً له، وجعل الطبيعة بديلاً عن الله سبحانه.

اللهم اهدِ كل ملحد وملحدة فإنهم لا يعلمون

(١) بواسطة كتاب [(**هكذا كانوا يوم كنا**) د. حسَّان شمسي باشا (ص ٨٣) ط/ دار المنارة بالسعودية] بتصرف.


الوقفة (٨)
نداء إلى كل ملحد ومتأثر بالإلحاد

تعالوا... يا مَنْ وقعتم في ظلمات الإلحاد وضلالاته...

يـا مَـنْ تشـعرون بـالقلق والضـنك وإن غـالطتم أنفسـكم بالراحـة والسـعادة الـمتوهمتين...

يا مَنْ أَرْهَـقَـتْكُمُ الخيالات، وأَتْـعَـبَـتْكُمُ الظنونات...

يا منْ تجحدون في الظـاهر؛ وفي البـاطن يستقر إيــمان تكتمونـه ظلمـًا وعلـوًا وعنادًا...

يا مَنْ تكذبكم الفطرة؛ وإن زعمتم أنكم أصحاب النظر والفكرة...

تعالوا إلىٰ النور...

تعالوا إلىٰ جنة الدنيا لتدخلوا جنة الآخرة...

فمَنْ لم يدخل جنة الدنيا لن يدخل جنة الآخرة...

إنـها جـنـة الإيـمان بالله ومعرفته ومحبته... قال **مالك بن دينار** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيهـا، قيـل: ومـا هـو؟ قـال: **معرفـة الله تعالىٰ** " (١).

دَعُوكُم من الشك ... تعالوا ولا تـخشوا سوء مـا وقعـتم فيـه، فسـيغفر الله لكـم، وستشعرون بذلك يوم تجدون سكينة الإيمان قد اطمأنت بها قلوبكم .

---

(١) كما في [(**سير أعلام النبلاء**) للحافظ الذهبي (٥/ ٣٦٣) ت. شعيب الأرناؤوط ـ ط/ مؤسسـة الرسالة بلبنان].

اقرؤوا بتأمل قول الخالق الحكيم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ (إبراهيم:١٠)

ها هو الدليل بين أيديكم ما أكبره ! وما أوضحه !

وتدبروا خطاب الله لكم: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥﴾ (الأعراف:١٨٥).

أين عقولكم وفطركم ومشاعركم وأنتم تنظرون إلىٰ الملكوت الأكبر، وإلىٰ ما هو أقلَّ منه من ذرات العالم الأصغر من الإبداع والإعجاز والإتقان والتوازن والتناسق والكمال والقدرة والعلم؟ ما هو مصدره؟ أين ضمائركم؟ ماذا تنتظرون؟

آلموت؟! فقد اقترب أجلكم، وها هو يطوف فوق رؤوسكم !!!

ألا تخافون أن تلقوا الله وأنتم بإلحادكم معاندون؟ أفلا تؤمنون؟

ألا تحتاطون لأنفسكم قبل أن يفجأكم الموت؟ كما قال أحد العقلاء:

قَالَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا ... لَا تُبْعَثُ الْأَمْوَاتُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ ... أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

تعالوا قبل أن يقال لكم: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٣٥﴾ (الجاثية:٣٤-٣٥)

لستم صدفة، ولم تُخلقوا عبثًا، ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ (المؤمنون:١١٥-١١٦).

يا هؤلاء.....

مصيرنا جميعـًا إلىٰ الله، وسيقف الـجميع للحساب في يوم لا يظلم الله فيه مثقـال ذرة .

إنه رجوع لا مفر منه، إنه يـوم التصـفية الكـبرىٰ للماضـي جميعـه بكـل مـا فيـه، والقضاء الأخير في الـماضي بين كل مَنْ فيه، يقول الله مالك ذلك اليوم: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾ (البقرة: ٢٨١).

يا شباب الإلحاد وفتياته...

ما الذي وجدتـموه في الإلحاد؟

فليس للإلحاد أسباب عقلية...

ولا دلائل منطقية...

ولا براهين علمية...

ولا يدعو إلىٰ جمال، ولا كمال، ولا اعتدال...

بل شذوذ في الرأي، وسقوط في النفس، وقبح في الفعل...

الإلحاد: صوتٌ نشازٌ قبيحٌ مُـغْـرٍ أتىٰ من الخارج يصارع صوت الفطـرة السـاكن في النفس والوجدان.

الإلحــاد: بداية تبحث عن الدليل، ونـهاية تعاند الحق الجميل، وتنـاقض العلـم الأصيل، وتتكلف الوهـم كبديل...

الإلحـاد: يبدأ بـمفكر حُـرٍّ، وينتهي بحائـرٍ قلق الفكر، مهتـز الضـمير، مضـطرب الذهن، ضنك العيش، إذا خلا بنفسه اسـتولىٰ عليـه خـوف قاتـل، لا يهـرب منـه إلا بالبحث عن أفضل طريقة للانتحار.

الإلحـاد وقت الأمن: إعلان بالكفر، ودعـوىٰ عريضـة تـملأ الأرجـاء بالتحـدي والسَّبِّ والسخرية، فإذا جاء الخوف؛ رجفت القلوب، فَظَهَـرَ الإيــمان، وتضـرعت الألسن بإخلاص الدعاء: ليساعدنا الرب، نَـجِّـنَـا يا الله !!!

أمر الإلحاد: إعجاب زائف بالعقل، ومحاولة للتخلص من التكاليف...

وأمر الإيمان: إعمال للعقل بأن لكل مغزل غازلاً، ولكل فعل فـاعلاً، ولكـل نظـام حاكـمًا، وللحياة غاية، وكُلُّ الخلق فـإلىٰ الخـالق القـدير سـبحانه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾ (الأنعام:١٠١- ١٠٢).

يا مَنْ تأثرتم بالإلحـاد:

نحن لا نقول لكم:

لا تتعلموا... لا تفكروا...لا تفهموا

إنـما نقول لكم: تعلموا، وفكروا، وافهموا... لكن لا تخرجوا عن العلم والفكـر والفهم كما هي موجودة في العقل والنفس والواقع... ولن نقبل مـنكم خرافـة تتـدثر بالعلم، وخيالاً يـدَّعِي الفكر، ووهمـًا يزعم أنه أصاب الفهم.

وتعالوا إلىٰ القرآن حيث الحجج القويـة، والاسـتدلالات الــمنطقية، والأقيسـة العقلية، والأمثال الواقعية... ثـم الإذعان وإعلان الإيـمان.

أيـها الـملحدون واللاأدريون والربوبيون والـمتشككون:

" إن قبول الحق ليس مرتبطًا بقوة الحجة، ولا وضوح الـمحجة، ولكنه مـرتبط بالصدق في طلب الحقيقة والحرص عليها. ولهذا؛ فإن الحديث عـن الحقـائق لمـن لا يَصْدُقُ في طلبها جهد ضائع "[١].

اسمعوا الله الخالق الحكيم وهو يقول لكم: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ (الزمر:٧).

ويقـول جَـلَّ وعَـزَّ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ (يونس:١٠١) ويقـول في سـورة النـور وقولـه الحـق: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ (النور:٤٠)

فارجعوا إلىٰ الله قبل أن تخسَرُوه...

وعودوا إلىٰ أصلكم قبل أن تفقَدُوه...

لا تـهربوا من الله بعصيانه والتمـرد علـىٰ شـرعه وقـدره لـئلا تُسـلِمُوا فتعانِـدُوه بجهلكم وتتجاهَلُوه.

---

(١) من خطبة جمعة للشيخ د. صالح بن حميد حـول (**حقيقـة الإلحـاد وشـؤمه**) مـن علـىٰ منـبر المسجد الحرام بتاريخ ٢٣ صفر ١٤٤٥هـ.

ارجعوا إلىٰ صوت الفطرة الـمودعة فيكم من الـميلاد، واعفوا أنفسكم من عناء الـمصطلحات العمياء والجدل الـمعتوه...

وبعقولكم - لا بعقول الآخرين - فَكِّرُوا في أنفسكم، وانظروا ما حولكم وتأمَّلُوه...

واعتبروا بـمَنْ مضىٰ كيف كان؟ وإلىٰ ماذا صار؟ ويوشك أن تلحَقُوه...

وانظروا ما أنتم فاعِلُوه؟ فإنكم مجزيون به وملاقُوه...

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة: ٦-٨).

وسبحان الله، والـحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا علىٰ رسلك ولا تخزنا يوم القيامة، إنك لا تخلف الـميعاد.

اللهم ربنا زَيِّنَّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين ، ولا تُزِغْ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

وَصَلِّ اللهُمَّ علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالـمين.

وكتبه الفقير إلى الله تعالى:

أسامة بن محمد بن قاسم الكلدي اليماني

غفر الله له ولوالديه ولجميع الـمسلمين

أواخر صفر ١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

الفهرس التفصيلي

تم بحمد الله رب العالمين

- هـذا الكتـاب في أصلـه كـان بحثاً مختصراً للتخرج من دورة (صناعة المحـاور- الدفعة الثالثة) لعام 1438هـ ، ونال - بفضل الله وتوفيقه - درجة كاملة.

- جُمِعَتْ مادته من عشرات المصادر والمراجع والبحوث والمقالات والدوريات، وتمت الإفادة من وسائل مرئية ومسموعة، ومنصات تواصل عالجت معضلة الإلحاد وقضاياه الواهمة ، وحججه الداحضة .

- حاول الكتـاب أن يجمع ما تفرق في الكتب والدوريات في مواضيعه التي تناولها ليكون أستاذاً للمتعلمين ، وجواباً للسائلين، ودليلاً للحائرين ، وملهماً للباحثين ومنبراً للخطباء والمحاضرين، ومرجعاً لمراكز العلم ومحاضن التربية وقنوات الوعي .

- يجد القارئ في هذا الكتاب صورة واضحة عن الإلحاد وحقيقته، وأسبابه، ومَنْ يقف وراءه؟ وآثاره ومخاطره، وكيف نعالج مشكلته وإشكالاته؟

- جاء هذا الكتاب رافداً لما هو موجود في الساحة الدعوية المعتنية بالشأن الإلحادي ليتشرف بمشاركتها جهودها في دفع ورفع عادية الإلحاد ، وكشف سفسطاته .

- خاطب الكتابُ الملحدَ كإنسان له عقل ووجدان ، منادياً فطرته ليعيدها سيرتها الأولى ، داعياً كل ملحد للتوافق مع قوانين العقل وبدهيات الأمور ، ومعرفة هدف الحياة وغاية الوجود ، وعدم الشذوذ عن الإجماع الكوني العابد لله .

•• رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ••